

مجلة الأزهر

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكمية

تصدرها شبكة الأزهر

في كل شهر عربي

ماعددا شهرى ذى القعدة وذى الحجة

الجزء السادس	٦٥ جمادى الثانية سنة ١٣٦٥	المجلد السابع عشر
--------------	---------------------------	-------------------

مدير إدارة المجلة ورئيس تحريرها

حضرة صاحب العزة

محمد فريد وجدي بك

الاشتراكات عمده سنة

الإدارة

داخل القطر ٢٠٠
لطلبة الجامعة الأزهرية خاصة ... ١٠٠
خارج القطر ٣٠٠

ميدان الأزهر

تليفون : ٨٤٣٣٢

الرسائل تكون باسم مدير المجلة

نمن الجزء الواحد ٢٠ مليا داخل القطر و ٣٠ خارجه

(مطبعة الأزهر — ١٩٤٦)

فهرس

الجزء السادس - المجلد السابع عشر

الموضوع	بسم	صفحة
احتفال الازهر بالذكري العاشرة		
لوفاة المغفور له الملك فؤاد الاول ...	كلمة لحضرة صاحب الفضيلة الاستاذ لا كبر	٢٤١
كلمة رثاء	» » » » »	٢٤٢
ذكرى الملك فؤاد - قصيدة ...	» » الاستاذ حسن جاد حسن ...	٢٤٣
السيرة الحمديّة	» » حضرة صاحب العزة مدير المجلة ...	٢٤٦
الجزاء من جنس العمل	» » فضيلة الاستاذ الشيخ طه السامكت	٢٥٠
التأليه العقلي	» » حضرة الاستاذ الدكتور محمد غلاب	٢٥٣
خالد بن الوليد	» » فضيلة الاستاذ الشيخ صادق عرجون	٢٥٧
بحث في مقارنة القوانين الوضعيّة	» » صالح بكير ...	٢٦٠
لقويات	» » » » محمد النجار ...	٢٦٤
ابن سينا	» » حضرة الاستاذ سعيد زايد ...	٢٦٨
مكارم الاخلاق	» » فضيلة الاستاذ الشيخ على محمد حسن	٢٧٢
الدراسة الجامعية والايحاد	» » محلي غيور ...	٢٧٥
النقد الادبي	» » فضيلة الاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي	٢٧٨
هيبة العمر في العصر الجاهلي	» » رياض هلال ...	٢٨١
تاريخ دخول الاسلام في افريقية الغربية	» » آدم عبد الله الالوري	٢٨٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

احتفال الازهر بالذكرى العاشرة

لوفاة المغفور له الملك فؤاد الاول بكلية الشريعة

كلية لحضرة صياحب الفضيلة الأستاذ الأكبر

بسم الله الرحمن الرحيم

في حديث شريف عن النبي صلى الله عليه وسلم :

« إذا مات الانسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة أشياء : من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له . »

وقد اجتمعت هذه الأشياء الثلاثة للمغفور له الملك المصلح العظيم فؤاد الاول ، أحسن الله إليه ، فأعماله المبرورة موصولة لا تنقطع بإذن الله .

أما الصدقة الجارية ففي جوانب وادى النيل مبرات للملك فؤاد كثير عديدها ، بعضها ظاهر يحمل اسمه الكريم ، وبعضها مستور من الحسنات الخفية التي يعظم عند الله أجرها ، وليس في مصر جمعية من جمعيات الخير إلا وقد فازت من فضل الملك المحسن بعداد لا ينفد معينه .

وهذه جمعية فؤاد الاول للهِلال الأحمر المصرى ، وجمعية الإسعاف ، والجمعية الخيرية الاسلامية وغيرها ، شواهد ناطقات بالمثل العالية والسنن السريعة في الصدقات الجارية .

وفي غير مصر من بلاد الاسلام والعروبة مبرات للملك الجليل وصدقات جارية يعرفها حجاج بيت الله الحرام ، وزوار قبر نبيه عليه الصلاة والسلام .

أما العلم النافع فللمغفور له الملك فؤاد الاول في إحياء العلم النافع ونشره والنهوض بمعاهده ذكر مخلد ، وحمد مجدد ، فله الفضل كله في تأسيس جامعة فؤاد الاول وإقامة دعايمها ، وهو صاحب النهضة الحديثة للجامع الازهر والمعاهد الدينية ، وفي ظل رعايته وتوجيهه نشأت الجمعيات العلمية ومعاهد الفنون والرياضة والآداب .

وقد نشرت بوحيه وبعمونه كتب وأبحاث في الدين والعلم والتاريخ خالدة الأثر .

وبحسب الملك العظيم فؤاد الأول في مجال العلم النافع أن تتوج باسمه الطبعة المصححة الدقيقة للمصحف الشريف ، وهي الطبعة التي أصبحت في جميع بلاد الاسلام إماما .

هذا وإن الله جل ثناؤه ، رزق المغفور له الملك فؤاد ذرية مباركة طيبة بما وهبه الملك الصالح الفاروق زينة الأبناء وزينة الملوك ، الذي سار على ممت أبيه ونهجه في الإصلاح والإصلاح . ولسنا نعرف في البنية من هو أصدق حبا لأبيه من الفاروق المحبوب وأوفى وطاء وأبريرا .

أما بعد : ففي هذا اليوم يوم الذكرى العاشرة لوفاة ساكن الجنان المصالح العظيم الملك فؤاد الأول ، يرى الأزهر تحية لهذه الذكرى أن يوزع جائزة فؤاد الأول السنوية للمتفوقين من خريجي كليات الأزهر الثلاث .

وتتوجه الى الله الكريم أن يجزى الملك فؤاد الأول أحسن الجزاء ، ويزيده من فضله على ما قدم من خير وإصلاح للعلم والدين والوطن ، ونسأله تعالى أن يحفظ الملك الصالح فاروق الأول ويتولاه برعايته وتسديده وتأيينه .

كلمة رثاء

رثي بها حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر زميله في الدراسة المأسوف عليه الأستاذ عزيز ميرم ، وألقيت هذه الكلمة في الثاني عشر من مايو سنة ١٩٤٦ .

عزيز ميرم رفيق شباب

فإذا تمثل في الفؤاد رأيت عليه أغصان الشباب تميد

عرفته في دار غربة منذ عهد بعيد ، فكنا زميلي قواسمة ، وكنا صديقين . بلوت عشرته في جد الحياة وهزلها ، فخدمت في الحالتين عشرته : صدق ود ، وحسن وفاء .

كان عزيز ميرم ذكيا ، موفور النشاط ، كبير الهمة ، كبير المروءة ، يحيا حياته مرحا متفائلا فسيح الأمل . ولقد أثقلت كاهله في أخريات حياته شواغل مضنية ، ونهكت جسمه أمراض مضنية ، وظل عزيز ميرم على الرغم من الشواغل والأمراض وافر المرح ، وافر الأمل ، متفائلا لا يعرف الشؤم ولا التشاؤم .

وأحسب عزيز ميرم كان حين قضى الله فيه قضاءه يودع الحياة بساما ، ويستقبل الموت بساما ، وحوله أهل وأصدقاء سيكون بالدمع السخين فتى لم يكن قط في حياته سببا لحزن ولا لبكاء . أحسن الله إليه !

ذكرى الملك فؤاد

تلفت خاطري وهما جنائي وأطرق في مواكبها بياني
 يروع جلالها قلبي فتمنوا لهبتها كريمات المعاني
 وتلهب لوعة الذكرى حنيني فيمقد لدعها القاسى لسانى
 وما فيض المشاعر غير دمع تحذر من جراح القلب قان
 أروح أسائل الماضى فيعيا وأين جوابه مما أظاني ؟
 ومن يطرى مسالة الليالى كمن يطرى الشجاعة فى الجبان



لحت بفمزة الذكرى شعاعا من الفاورق ، لمآح الأمانى
 يمر ندى سناه على جبينى فيغمرنى بأطياف الحنان
 وأسمع هاتقا فى الأفق يشدو فيملأ صوته رجب العنان
 رويدك إنما الفاروق شبل لهذا الليث ، ينهض فى استنار
 وهذا النور من ذاك المحيا وهذا الرمع من تلك السنان
 وهذا ملء أبصار وسمع وذلك ملء أفئدة حوآف
 وهذا جنة الدنيا بمصر وذلك فى فراديس الجنان



وفت مصر لعاهلها فؤاد فلبيت الوفاء وقد دعاني
 إذا ذكرته رجعت البوادي ورجع عن صداها المشرقان
 يعطر ذكره فم كل شاد ويحلو باسمه رجع الأغانى
 مضى فى الخالدين من افتداها وبوأ عرشها أعلى مكان
 ومن نقت الحياة بها طموحا وبث بجيلا روح التفانى
 ومُرس للحضارة كل أس ورافع ركن نهضتها وبانى
 وطيد المكرمات ، وكل مجد يزيفه شبا الأعلام قان
 وأنصح من بيان الناس لُسن فصاح من مآثره الحسان
 كفاه بمجدهن خلود ذكر تسابق فيه السنة الزمان



إذا احتفل الحمى في كل عام
فإن الأزهر المعمور حق
أعزّ حياه فاستعصت منالا
وأسيغ من أبياديه عليه
وجاد عليه من كلنا يديه
فصار مكانه يشجى الأتادي
تمسده بأصلاح وسامى
وسن شرائعاً للعالم فرا
جواز للأوائل فيه تفرى
وتقدير توالى من نداه
فهذى النهضة الكبرى غراس

فقل للمرجفين به أفيقوا
متى نالت حصاة من خضم
هو المعمور نحر الشرق طراً
يسافر صيته شرقاً وغرباً
فإن عميت بصائرهم فهلا
وإن عشت نواظرم ضلالا
إذا ما صبح للفاروق حب

أب بر بجاهره بنوه
نعام في ذراه فروع دوح
وكم وردوا مناهله رطاء
وأرضهم فذ فطموا جفوه

إمام المسلمين ومصطفاهم
سقامك كان الآمال سقما
فديتك أنت أول من حباني
سلمات سلمت من ريب الزمان
وكان ضنى يحطم في كياني
بتقدير وأكرم من رعاي

إذا صادفت من دهرى جحودا كفاى منك تقدير كفاى
عرفت الفخر مذ أطربت شعرى ودنت النجم مذ أعليت شانى
إذا أشدته يوما أصاغت له الدنيا وأصغى الشعرى
فرائد من يتم الدر شاقت كرائمهن لبات الغواني
وما أنا فيه إلا أزهرى بقى إلى المشاك والمثانى
شأوت فوارس الميدان فيه وحزت الحصل من قصب الرهان
وكيف يفوتنى فى الشجر فوق ومجد الأزهر العالى نمانى
وما عرفت البيان الحمر شاد إذا لم ينش منه شذا البيان
بقيت لنا تبلغنا المعالى وتدفعنا لها منك اليدان

مصره جاد حسن

قسم الأستاذية بكلية اللغة العربية

تدبير المال

قال ابن المقفع صاحب كلیلة ودمنه: قاتلوا رعدی

إن صاحب الدنيا يطلب ثلاثة ولا يدركها إلا بأربعة . فأما الثلاثة التى تطلب : فالسعة فى المعيشة ، والمنزلة فى الناس ، والواد الى الآخرة .

وأما الأربعة التى تدرك بها هذه الثلاثة : فاكْتساب المال من أحسن وجوهه ، وحسن القيام عليه ، ثم التشمير له ، ثم إتفاقه فيما يصلح المعيشة ، ويرضى الأهل والاخوان ، ويعود فى الآخرة نفعه . فإن أضاع شيئاً من هذه الأربعة لم يدرك شيئاً من هذه الثلاثة .

فإن لم يكتسب لم يكن له مال يعيش به . وإن كان ذا مال واكتسب ولم يحسن القيام عليه يوشك أن يفنى ويبقى بلا مال . وإن هو أنفق ولم يشمر ، لم ينفعه الاتفاق من سرعة النفاد ، كما لكحل الذى إنما يؤخذ منه على الميل مثل الغبار ثم هو مع ذلك سريع تقاده . وإن هو اكتسب وأصلح وأتم ولم ينفق الأموال فى أبوابها ، كان بمنزلة الفقير الذى لا مال له ثم لا يمنع ذلك ماله من أن يفارقه ويذهب حيث لا منفعة فيه ، كحابس الماء فى الموضع الذى تنصب فيه المياه إن لم يخرج منه بقدر ما يدخل فيه تمصل وسال من نواحيه ، فيذهب ضياعاً .

نقول : هذا من أحسن ما يكتب فى تدبير المال ، فليتنامله المسرفون .

السيرة في الملوك والنبي

تحت ضوء العلم والفلسفة

تابع لنقد آراء الدكتور جوستاف لوبون في كتابه « حضارة العرب »

يقول الدكتور جوستاف لوبون في كتابه (حضارة العرب) في الصفحة ١١٠ منه : إن « علامت اتجاه العرب أمام ظهور محمد إلى الوحدة السياسية والدينية كثيرة » ، وقد عدت من هذه العلامات حشر جميع آلهتهم في الكعبة ، وقد بينا رأينا في هذا الأمر مما كتبنا عنه في العدد الماضي من هذه المجلة .

اكتفى الدكتور لوبون بهذا القول المجمل ، ولم يجيء بشيء من تلك العلامات ، وهي من أهم ما كان يجب الإتيان به تعليلاً لحدث جليل ، ليس له شبيه في تاريخ الإنسانية ، فلم يسمع أن قبائل كانت على أشد ما يكون من التناذر والتطاحن ، اجتمعت على هيئة أمة في ثلاث وعشرين سنة ، وأية أمة ؟ أمة لم يعهد لقوة ترابط آحادها ، وشدة تماسك طبقاتها ، ولا لوحدة وجهتها وغايتها ، نظير في أهم العالم أجمع .

يعرف الدكتور جوستاف لوبون ، باعتبار أنه عالم اجتماعي ، العلامات التي تسبق توحيد القبائل ، وأن من أعظمها تأثيراً زوال الأسباب التي أوجت ذلك التعدد ، وأن من أهم تلك الأسباب نشوء حاجات ماسة إلى التكافل والتعاقد ، كحلول قوم أقوىاء بين تلك القبائل يعملون على استعبادها وتسخيرها لإرادتهم ، واستغلال قواها لمصالحهم ؛ فعند ذلك يدفعها ناموس الدفاع عن الذات إلى توحيد صفوفها ، واستجتماع قواها ، للتخلص من هذا الشر المستطير ، أو على الأقل لصد مطامعهم فيها .

أو حدوث حوادث طبيعية من سيول عرمة ، أو انقلابات جيولوجية ، تجعل حياتها في خطر ، إذا لم تقابلها متضامة متضامنة .

أو طرؤه تطور اقتصادي يفقد الحياة القبلية مزيتها ، فتتلاشى مميزاتها رويداً رويداً ، فتتقلب القبائل إلى شعب واحد ، في مدى أجيال متعاقبة ، لاطفرة ، كما حدث للقبائل العربية ، على عهد النبي صلى الله عليه وسلم .

فهل حدث في البلاد العربية شيء من هذه الأسباب يمكن أن يعمل هذا الانتقال السريع المدهش ، من الحالة القبلية ، إلى الحالة الشعبية ؟

يقول الدكتور جوستاف لوبون في صفحة (١١٧) من كتابه « حضارة العرب » :

« وقد ترك النبي مكة حين أضحى غير قادر على الدفع ، فذهب إلى الطائف القريبة من أم القرى ، فلم يصغ أهلها إلى دعوته ، فاضطر إلى العودة . ثم قال :

« ولم يلبث الأمر أن تبدل ، فتبسم الزمن لمحمد ، فقد اغتنم مجد موسم الحج فدعا إلى دينه أناساً من الذين التي كانت تنظر إلى مكة بعين الغيرة ، والتي كانت تنتظر ظهور نبي ، فاستهواهم حديث النبي ، فاعتقدوا أنه هو النبي المنتظر ، فحدثوا بذلك أهل يثرب التي كانت تأكلها الغيرة من مكة أيضاً ، فجاءه من هؤلاء رجال كثيرون ، ليستمعوا إليه ، فلم يأمرهم بغير الإيمان بالله ورسوله ، وباليوم الآخر والحساب ، وبالنواب والعقاب ، وبالقضاء والقدر ، مع الصلاة والطهارة والصدق ، واجتناب الفواحش ما ظهر منها وما بطن ؛ فآمنوا به وصدقوه وبإيموه ، ثم انصرفوا للدعوة إلى دينه » اهـ

نقول كل ما ذكره الدكتور جوستاف لوبون هنا صحيح ، وكان يجب عليه أن يسير في أمر توحيد القبائل العربية ضيراً منطقياً ، فيجعل أساسه إيمان قبيلتي الأوس والخزرج ، وهما سكان يثرب ، برسالة النبي صلى الله عليه وسلم ، وبرى قراه في حدوث هذا الأمر سبباً صحيحاً لتوحيد القبائل العربية ، وهو قيام دين أخذت به قبيلتان ، فألفنا معاً نواة للاجتماع جذبت إليها سائر القبائل ، واحدة بعد أخرى ، حتى تم توحيدها في مدى نحو عشر سنين بعد تاريخ الهجرة . فلو كان سلك هذا المسلك العلمي ، للاحت له جميع وجوه العظمة في قيام الاسلام ، واستحالته ، في وقت لا يكفي مثله ، إلى قوة عظيمة لا تغالب ، لم تلبث أن اندفعت إلى خارج بلادها ، وأحدثت في العالم أحداثاً لا يمكن تفسيرها تفسيراً طبيعياً معقولاً إلا إذا رُضيف إليها عامل فوق عوامل الطبيعة المجردة ، لأن اطراد هذا الأمر وبلوغه أقصى مداه ، يشمر بأكثر مما يعطيه العلم في هذا الانقلاب الذي لا شبيه له في تاريخ البشر .

لو كان فعل هذا لما اضطر للحوم حول الأباطيل التي ذكرها مثل قوله إن « هلام اتجاه العرب أيام ظهور محمد إلى الوحدة السياسية والدينية كثيرة » ، ولم يذكر من هذه العلامات واحدة غير ما قاله من ثورة العرب بأصنامهم ، وهو ما لم يحدث لافي عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا قبله كما بينا ذلك في المقال السابق ، ولكنه حدث بأمره حين تم إسلام العرب .

ألا يكون من البديهي الذي لا ينارى فيه اثنان أن شعور القبائل العربية بضرورة الوحدة الدينية والسياسية لها ، لو كان له وجود ، كان يجب أن يصل إلى أبعد مداه بعد ذلك الحادث الجلل الذي سيحل عليها التخاذل في أشنع مظاهره بغارة أبرهة على مكة سنة ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم لهدم الكعبة ؟ فقد قطع جيش أبرهة مئات من الأميال في صميم البلاد العربية قاصداً تحطيم البيت الحرام ، وهو محج جميع القبائل العربية ، وكانوا قد جعلوه

موثلاً لجميع أصنامهم ، فلم تثر فيهم هذه الالهة أقل ميل للاجتماع ، فتركوه يجتاز النجاد والوهاد حتى وصل إلى مكة ، فما كان من أهلها إلا أن التجأوا إلى الجبال هرباً من بطشه ؛ ولولا أن الله شغله بكارثة لم تكن في حسبان ، لم يتمكن معها من إتمام مقصده ، ثم له ما أراد . أما كانت هذه الحادثة كافية في إشعار العرب بضرورة الاجتماع لتكوين وحدة دينية وسياسية تصلح لحماية ديارهم ، وصيانة ديارهم ؟ فإذا كان من أثرها فيهم ؟ بقاؤهم على مام عليه من التعادى والتناحر ، والتفرق والتدابر ؟ ولما أرسل الله إليهم رسولا من أنفسهم يدعوهم إلى التآلف والتحاب ، والاختلاط في الدين والدنيا بأوثق الأسباب ، كذبوه وسخروا منه ، وبالغوا في التعجب من دعوته ، ورموه بشتى الاتهام ، حتى وصموه بالجنون ! وقالوا يأبى الله الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون .

كل هذا وقريش تعتبر أنجب القبائل العربية ، وأفقهها في الأمور الدنيوية ، فما ظنك بغيرها ممن لم يروا غير أرضهم وسمائمهم ، ولم يعاشروا غير إبلهم وشائهم ؟

يقول الدكتور جوستاف لوبون : إن « علام » اتجاه العرب إلى الوحدة السياسية والدينية كثيرة . فهذه العلام التي أجعلها الدكتور لا يمكن أن تعدو ما جرت به العادة بين الجماعات من تطوع أفراد بالدعوة إلى توحيد الصفوف ، وبيان فوائد هذا التوحيد من بطلان الحروب ، وانتشار الأمن بين الربوع ، وما في الاجتماع من بركات في الإرادة والاستيراد ، وفي تحرير الشعب من ربة الاستعباد الخ الخ ، وكانت تبقى أخبار تلك المحاولات ، وتحمل أسماء الذين قاموا بها ، وزوى ما كانوا يلقونه من الخطب ، وما ألقوه من المؤتمرات ، في أسواق العرب المشهورة .

نعم إن الرواة الذين ارتادوا البلاد العربية ، وجاسوا خلال ديارها بعد ظهور الاسلام ، لرواية اللغة وتصحيح ألفاظها ، وجمع ما يمكن جمعه من أشعار الجاهليين وأخبارهم ، لم يأتونا بشيء عن آحاد كانوا يقومون بالدعوة لهذا التوحيد الديني والاجتماعي ، ولم يقفوا على أثر يدل على شيء مما يتعلق بهذا التطور ، فهل لو كان هناك شيء من هذا القبيل ، أكان يخفى على هؤلاء الرواة ، أو على العرب أنفسهم الذين قبلوا الدخول في الاسلام ؟

لقد حدثونا عن الجاهلية وعن حوادث حدثت بين الأفراد والجماعات ، وبالغوا في ذلك وتباروا فيه حتى جاء أكثره خارجا عن المعقول ، فهل كانوا يصمتون لو كانوا وجدوا فيما مسموه أنارة مما يدعيه الدكتور جوستاف لوبون ، من محاولات قام بها الجاهليون في سبيل توحيد القبائل وتوحيد آلهتها ؟

أما ما هو أصدق شاهد على حالة الجاهليين قبل الاسلام ، فهو القرآن ، وقد جاء فيه قوله تعالى حاكيا قول الجاهليين : « أجعل الآلهة إلها واحدا ، إن هذا لشيء عجاب . والطلق الملا »

منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ، إن هذا لشيء يراد . ماسمعنا بهذا في الملة الآخرة ، إن هذا إلا اختلاق »

قلنا في المقال السابق إن الدكتور جوستاف باعتبار أنه لا يقول بإمامل في الوجود غير النواميس الطبيعية ، يعذر في تلسمه الأسباب من هنا وهناك لتعليل نهوض الأمة العربية هذا النهوض الفجائي بسبب خارق للعادة ، ولـكنا من ناحيتنا ، نحن الذين نعتقد بأسباب علوية فوق الأسباب العادية ، لا نستطيع أن نفعل نقد تأكيدات الدكتور جوستاف لوبون ، وعدم رد الأمور الى أسبابها الحقيقية .

وإذا كان مثل الدكتور جوستاف في سعة أفقه العلمي بأمرار الاجتماع ، يرتكب مثل هذه الوسيلة الضعيفة ، ويلجأ الى التحسس من أوهى الظنيات ، ليعلل بها أعظم حادث اجتماعي ديني باعترافه هو نفسه ، كان هذا من أدل الأدلة على أنه لم يهتد الى ما يعلل به هذا الحدث الخطير من المقررات التي تتلجج عليها الصدور ، وتطمئن إليها النفوس ، وليس هذا العجز منه بالشئ القليل . وإذا كان الدكتور جوستاف لوبون قد سلك في تحري أسباب نهوض المسلمين هذا المسلك المادي ، وقد عرفنا عذره فيه ، فإنه لم يضمن بالاشادة بأعمال النبي صلى الله عليه وسلم ، وذهب في تقديرها مذهب العلماء المنصفين . فقد قال في صفحة (١٢٧) من كتابه (حضارة العرب) : « والأمر مهما يكن ، فإن نمنا لا ريب فيه أن هذا أصاب في بلاد العرب نتائج لم تصب مثلها جميع الديانات التي ظهرت قبل الإسلام ، ومنها اليهودية والنصرانية ، ولذلك لا ترى حداً لفضل محمد على العرب »

نقول ولا لفضله على أوروبا وآسيا ، فقد قال هو نفسه ما نصه في صفحة ٩٨ : « قد أنشأ خلفاء محمد تلك المدن الزاهرة التي ظلت ثمانية قرون مراکز للعلوم والآداب والفنون في آسيا وأوروبا . » ونقل عن الأستاذ ليبرى قوله : « لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوروبا عدة قرون . » وقال هو نفسه في صفحة (٥٩٠) :

« وقد كانت ترجمات كتب العرب العلمية ، المصدر الوحيد للتدريس في جامعات أوروبا نحو ستة قرون . ويمكننا أن نقول إن تأثير العرب في بعض العلوم ، كعلم الطب مثلاً ، دام الى الزمن الحاضر ، فقد شرحت كتب ابن سينا في مونبيلييه في أواخر القرن الماضي . »

نقول : يكتب الدكتور جوستاف لوبون كل هذا ويكثر منه ، ويضمن أن يعترف لمحمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة ، وسنعالج ذلك فيما يأتي ، إن شاء الله .

البيان

الجزء من جنس العمل

عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شميرتين ، ولن يفعل ؛ ومن استمع الى حديث قوم وهم له كارهون — أو يفترون منه — صب في أذنه الآنك يوم القيامة ؛ ومن صور صورة عذب ، وكلف أن ينفخ فيها ، وليس بنافخ » . رواه البخارى .

المفردات

تحلم : تكلف الحلم وافتراه . والحلم بضم الحاء وسكون اللام ، وقد تضم أيضا : ما يراه النائم ، لكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير والشيء الحسن ، وغلب الحلم على ما يراه من الشر والقبيح والأضغاث وهي الأخطا التي لا تعبیر لها ، والمراد بالعقد بين الشميرتين فنل إحداها بالآخرى وربطها بها وهو من قبيل المستحيل . و « أو » في مثل هذا الموضع للشك من الراوى فى أى الجملتين قال النبي صلى الله عليه وسلم ، وهى من دلائل التحسرى فى الرواية والعناية بضبطها والمحافظة على ألفاظ الحديث ؛ والآنك بالمد وضم النون : الرصاص المذاب ؛ والمراد بالنفخ فى الصورة إحيائها ، وهو من باب المستحيل أيضا .

المعنى

هذه موبقات ثلاث ، نهى عنهن النبي صلى الله عليه وسلم فيما نهى ، وقرن كل واحدة منهن بمجزائها ؛ ليكون ذلك أئين للأثم ، وأبلغ فى الزجر ، وأقطع للمعذرة ، وأجدر ألا يقربها من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، ومن كان يخشى الفضيحة بين يدي الله ورسوله .

الموبقة الاولى : الافتراء فى المنام وإراءة العين ما لم تره ، وهذا من أقبح فنون الكذب وأشدّها وأبغضها عند الله عز وجل . روى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن من أفرى الفرى (١) أن يرى عينه ما لم تره » . والكذب دركات بعضها أسفل من بعض ، فأهونه — وإن كان عظيما — ما كان على الناس ، حاشا للنبي صلى الله عليه

(١) جم فرية وهى الكذبة العظيمة التى يتوجب منها . ونسبة الكذبات الى الكذب للمبالغة نحو قولهم

وسلم ، ونختلف شناعته باختلاف آثاره وما يقصد منه ، وأشد ما كان على الله ورسوله . فأما الكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم - وهو صاحب الشرع - فهو كذب في دين الله وجسارة على رسول الله ، بل هو كذب على الله عز وجل . وليس المجال هنا لبسط القول في خطر هذا الكذب ووخيم آثاره .

وأما الكذب على الله سبحانه - ومنه التحمل - فهو أشد جرماً ، وأعظم قبوحاً . وما ظنك بمن لا يبالي بالقرية على ملك الملوك ومن يعلم السر وأخفى ؟

وإنما كان التحمل من قبل الكاذب على الله تعالى لأن الرؤيا الصادقة ، كما ثبت في الصحيح ، جزء من النبوة (١) ، والنبوة لا تكون إلا وحياً ، والكاذب في رؤياه يزعم أنه تعالى أراه ما لم يُره ، وأعطاه جزءاً من النبوة لم يعطه إياه « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شيء » . من أجل ذلك كان الكذب في الرؤيا أعظم إثماً من الكذب في اليقظة ، وإن كان الكذب في اليقظة - في بعض أحيانه - أشد ضرراً وأعظم خطراً .

ولما تكلف المتحمل الكذب على الله في الدنيا كلفه الله في الآخرة ضرباً من ضروب المستحيل ، إذ يدفع إليه شعيرتان ليعقد بينهما وليس بعاقداً أبداً ، وإنما هو التعذيب بهذا النوع جزاء وفاً . ولعل في إيثار الشعير على غيره - والعلم عند الله تعالى - إشعار المتحمل بأنه افترى الكذب في شعوره فكانت عاقبته نكالا وخزياً .

والموقبة الثانية : الاستماع إلى حديث قوم وهم لذلك كارهون . صفة من أقبح الصفات وعادة من أسوأ العادات ، مبعثها دناءة في النفس ، وتبذل في الحس ، وشغف بالتطلع على العورات والأسرار . ولو فهم هذا المتسمع لأدرك أن القوم ما أسروا قولهم أو انتحوا به ناحية إلا لرغبتهم في كتمان الحديث وطيه عنه ، ومن أجل ذلك لم يكن على من تسمع لقوم خرج إذا جهروا بالحديث أو دعت حالهم إلى المشاركة فيه . فأما ذلك المتطفل الذي انتهك حرمان الناس ، وصرف نعمة السمع إلى غير ما خلقت له ، فجزاؤه المدل أن تملاً أذنه بالرياص الذي أعده الله له ، كفاء ما استرق من السمع وانتهك من الحرمة ولا يظلم ربك أحداً .

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصاً على شعور الفرد والجماعة ، لحفظ لكل حقاً ، وفرض على كل أدباً ، وجعل من أدب الفرد ألا يستمع إلى حديث الجماعة إلا بأذنهم ، كما فرض على الجماعة ألا تتناجى دون واحد إلا بأذنه ، لأن ذلك يحزنه ويحمله على سوء الظن بجماعته ،

(١) الرؤيا جزء من النبوة حقيقة إن كانت من نبي ، وإلا فهي جزء على المجاز ، لأنها تشبه جزء النبوة في الصدق والاخبار بالمغيبات .

وبوقد فيه من نيران الألم والحقد ما يهدم الكيان ويصدع البنيان ! آداب كريمة وأخلاق
قويمة يفرضها النبي صلى الله عليه وسلم على أمته ، لندوم لها وحدتها قوية نقية سليمة .
وثالثة الأثافي : تصور المصور الحيوانية ذوات الروح . وقد جاء في ذم المصورين
أحاديث كثيرة لا تدع للشك مجالاً في أن التصوير من أمهات الكبائر ، لأنه مضاهاة للخالق
عز وجل ، ومحاولة للتشبه به سبحانه ، وذريعة الى عبادة غيره وإن لم يقصد المصور شيئاً من
ذلك . وقد تضافرت الأخبار بأن قوم نوح عليه السلام ما عبدوا أصنامهم — ولا سواها
وسواها ويعوث ويعوق ونسرا — إلا من بعد أن صوروا تبركاً بهم ، فلما طال عليهم الأمد
عبدوا من دون الله عز سلطانه !

هذا قليل من كثير من مفاصد التصوير في العقيدة ، وأما مفاصده في الأخلاق والآداب
فحسبك أنه العامل الأول في انحلال الرجولة ، وإماتة الغيرة ، وإحياء الخلاعة ، وإيقاظ الفتنة ،
الى مخاز كثيرة استطار شرها وأعيا علاجها .

ومن المعجب العاجب أن تستمرى شرذمة من الناس أو أشباه الناس هذه المخازي ،
فتدعو إليها وتشجع عليها ، وتجد من العابثين والماجنين مرتعاً خصيباً ، ثم تقحم العلم والذوق
في هذا السخف الذي يتبرأ منه العلم والذوق والمروءة .

نعم إن دين الله وهو العام الخالد الذي ضمن للناس سعادتهم ، ووسع حاجتهم الى أن
تقوم الساعة ، لا يقف عقبة في سبيل العلم النافع والمصلحة الخالصة من شوائب الضلال
والهوى . أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت « كنت ألعب بالبناات عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وكان لي صواحب يلعبن معي » . فاذا رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم
في تصوير اللعب والتدريب بها أفلا يرخس في التصوير الذي تدعو إليه ضرورة المجتمع وحاجاته ؟

ألا إن يسر الخنيفية السمجة ورعايتها لمصالح المجتمع لا يأت بيان التصوير للمقاصد العلمية
الصحيحة ، كتعليم الطب والجراحة وصون الأمن وما إليها ، فمن أفرط أو فرط فقد تعدى
حدود الله « ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه » .

وقد كفتنا مجلة الأزهر مثونة البسط في أحكام التصوير وتفصيله (١) ولا نحب أن
نعيد حديثاً .

ط. محمد الساكت

المدرس بالأزهر

المشكلة الفلسفية العظمى

التأليه العقلي

- ٢٤ -

المظهر التنسكي لفكرة الألوهية

أثر اللاتين في تفسك العصر الحديث

تتمة مذهب باسكال :

يرى باسكال أنه لا ينبغي البحث عن الأدلة الإلهية في الموجود من حيث هو ، بل في ذات الفرد ككائن ذي وجدان . وعنده أن منابع الايمان ثلاثة : العقل والعرف والوحى ، ولكن الوحى وحده هو الذى يمكن أن يقتادنا نحو الإله فى هدى ورشاد ، أما العقل والعرف فليسا سوى مساعدين ثانويين (١) . وفوق ذلك فإن البراهين الميتافيزيكية على وجود الإله هى بطبيعتها بعيدة عن التعقل البشرى الى حد أنها لا تؤثر فى النفس إلا قليلا ، وإذا فرض أن هذا الأثر كان منتجا لدى فريق من الناس ، فإن ذلك لا يكون قطعا إلا ريثما ينتهى المتأثر من التفكير فى تلك الأدلة ثم لا يلبث أن يرتاب ويخشى أن يكون قد ضل السبيل فى تدليله (٢) .

أما برهان الغائية فهو عنده — فضلا عن أنه ليس فى متناول عقلية الجاهل — يبدو متعارضا مع الكتب المقدسة التى تعلمنا أن الإله خفى عن الأفهام ، وإذا ، فالطريق الحقيقى الذى ينتهى بنا الى معرفة الإله ليس هو التدليل على وجوده بالبراهين العقلية ، بل هو جعل الإله مشعورا به فى القلب ، أى العمل على أن يكون موضوعا للشعور المباشر أو للقائه الفطرية .

وهذا يبين أن باسكال يميز — عن العقل بمعناها الضيق — القلب الذى هو عنده نوع من العقل الأكثر دقة وشعورا ، وهو منشأ النظام والعلائق الثابتة بين الكائنات ، ومبادئه تجتاز حدود العقل الرياضى ، وليست غايته التجرد وإنما هى الوصول الى الحق ، غير أن الوصول الى نهاية التدليل الذى يتطلبه منا القلب هو فوق مستوى القوى البشرية ، ولكن

(1) Pascal - Pensées fragment 245 édition Brunschwig.

(2) Pascal - Pensées fragment 543 iver.

هذا العقل اللامجرد أو القلب يعبر عن نفسه في دوائلنا بواسطة إشعاع من الحقيقة أو عن طريق نوع من الركائز التي فطرت عليها طبيعتنا . ومن ثم كان احتقار حدس القلب وقصر قبول الحقائق على مصدر واحد وهو تدليل العقل الرياضى من الأمور المتناقضة ، إذ أن القلب في الحقيقة هو الذى يكشف لنا الفكر الأولى عن الزمان والمكان والحركة والعدد ، وليس أساس العلوم الانسانية شيئا آخر غير هذه الفكر ، وبالإجمال لا بد للعقل في تأييد أدلته من معونة القلب ، فبذات الكيفية التي يحس بها أن هناك ثلاثة أبعاد في المكان ، يشعر أن للسكون إلهاً .

الحلولية المعصرية « L'immanentisme »

إن هذه المحاولة النفسكية التي قام بها باسكال قد ألهمت الفلاسفة الدينية المعصرية حركة فكرية عرفت باسم الحلولية المعصرية أو « إيمانتيسم » وهي كلمة جديدة قد لعبت ولا تزال تلعب دورا هاما في المجادلات الفلسفية الدينية ، إذ قد اختلف المفكرون المعصريون في معناها ، فذهب فريق منهم الى المعنى القديم الذي يصرح بأن الاله حال في الانسان ، والذي يستلزم مزج الافعال الالهية باحداث الطبيعة ، ويحدد أن السكون مسير بناموس منفصل عنه ، والذي هو أحد المبادئ المتفرعة عن وحدة الوجود . وأعلن فريق آخر أنهم لا يريدون ذلك المعنى القديم ، وإنما هم يقصدون من هذه الكلمة مذهباً فلسفياً خاصاً يبدى الموافقة على تمثيل الحق مجرداً مجزأ ، وهو يرفض جميع براهين وجود الاله المؤسسه على المفاهيم الذهنية والاقبسة الجدلية ، ويرى أن الدين كنتيجة تلقائية لمطالب التي لا تنطفئ ، جذوتها لدى النفس الانسانية والتي تعثر على ترضيتها بين الارتياضات الذاتية العاطفية على الشعور بوجود جانب إلهي في دوائلنا .

ومن هذا إذاً يبدو أن تلك السكامة عند المعصريين لا ترمى الى إثبات حلول الاله في الانسان كما يتبادر الى الذهن للوهلة الأولى ، وإنما هي تقرر أن في الانسان شيئاً يشبه الحاجة الى الاله أو أنه محتو على ما يمكن التعبير عنه بالانجاء الدائم نحو اللامتناهي والدعوة الباطنية الى الاستغاثه بقوته ، ولا جرم أن الانعطاف نحو هذه الحلولية المعصرية قد ألقى صداه المدوى في رسالة الأستاذ موريس بلونديل . Maurice Blondel التي عنوانها « الفعل » والتي يثبت فيها أن الفعل البشرى يشتمل على حقيقة تتجاوز الاحداث الطبيعية البسيطة ، وأن التحليل الدقيق هنا يقتادنا بالضرورة من المعضلة العلمية الى معضلة ميتافيزيكية ودينية ، وفي الواقع أن الانسان بفعله الارادى يفوق الاحداث ولكنه لا يستطيع أن يصل إلى مستوى مطالبه الآلية ، ولهذا يعول المؤلف على أن يصور لنا الارادة الانسانية مدفوعة بعامل خفى

نحو التطلع إلى ما وراء طاقتها ليتدرج من هذا إلى أن الإنسان محتو على أكثر مما في مكنته أن يسيره لو كان منفردا بالتدبير ، ومعنى ذلك أن هذا الفعل يقتضى لزوما — عن طريق نوع من البواعث الداخلية — وجود قوة سامية منفصلة عن العالم لا يمكن أى عقل أن يبتدعها ، وهى الاله . وإذا فهذه الحلولية التى يرسمها الأستاذ بلونديل ليست هى وحدة الاله والانسان لأننا فى الواقع إذا كنا نفعل ، حين نفعل ، أكثر مما فى وسعنا ، وإذا كنا نريد ، حين نريد ، ما فوق طاقتنا ، وإذا كان الفعل هو المنشئ ، فما ذلك إلا لأنه يوجد إله أعلى منفصل لشعره فى دخائل نفوسنا .

البراجمية (١) Le pragmatisme

ترجع المذاهب البراجمية المصرية إلى أصل انجليزى سكسونى ، وهى متباينة المبادئ والنظريات ، ولكن الذى يعنينا منها هنا هو براجمية وليم جيمس William James الفيلسوف الأمريكى الذى هو أشهر ممثلى هذه المذاهب على الإطلاق لأنه ينتهى — من الوجهة الدينية البحتة — إلى تنسك حقيقى .

على أنه يبدو لنا أن هذه الحركة البراجمية قد نشأت فى دخائل أفكار أكثر زعمائها تحت تأثير انشغالهم النفسى بالجوانب الدينية عامة والالهية خاصة ، وكانت هذه الشواغل ترمى الى الظفر بتعريف محدد للحقيقة الدينية ، ومن ثم أجاد أولئك المفكرون النظر فى فكرة الحقيقة من أساسها فبدلوا فيها ما شاءت لهم عقلياتهم وتفاقمهم أن يفعلوا . والآن إليك هذه اللوحة الوجيزة عن الطريق الذى سلكه وليم جيمس للوصول الى هذا الهدف .

صدر هذا الفيلسوف فى فلسفته عن مبدأ جلى ، وهو أن الغاية الأساسية للحياة النفسانية هى حفظ ذات الفرد والدفاع عنها ، ولهذا يجب أن تكون الفكر دائما خاضعة للعمل أداة للنشاط ، فلا تدرس إلا على ضوء صلاتها به ، وهذا يقضى أن يدير الباحث ظهره للنسائج العقلية البحتة وأن ينبذ قشور التجرد والمبادئ من أجل لباب الأحداث الواقعية والنسائج العملية على حد تعبير وليم جيمس نفسه ، إذ أن الحقيقة تنحصر فى أن الفكرة الصحيحة هى ما كانت على وفاق مع الواقع ، وهى التى يجب أن تكون المرشد الأول فى حركاتنا الواقعية ، وبالأجمال

(١) البراجمية هى نسبة الى الكلمة الاغريقية براجا "Pragma" . ومعناها العمل بأوسع مرابه ، ولكن هذا المعنى لم يلبث أن تطور فبدأ فى عدة صور تختلف باختلاف المنوت به فاذا كان شيئا كان معنى هذا الكلمة : النافع أو التين ، وإذا كان إنسانا كان معناها : النشط أو الماهر ، وقد استعارتها الفلسفة الحديثة فتمت بها — على وجه العموم — كل المذاهب المطبوعة بطابع العمل أو النجاح أو الحيوية أو النشاط . وقصارى القول نعت بها المذاهب المتعارضة مع المعرفة النظرية أو الجدلية أو الموضوعية .

إن الحق هو الصالح المفيد الذي يقود الى النجاح بكل ما في هذه الكلمة من معان ، أى من أضيقتها وأشدّها الخفضا إلى أوسعها وأعظمها ارتقاعا ، لأن الحق المعنوى هو كذلك ما كان مفيدا للفكر الانسانى ما دام أن العالم العقلى هو جزء من الواقعى . وإذا فالحقيقة لا تزيد على أنها انبجاس من التجربة البشرية على ضوء الانتاج المفيد فى الحياة بنوعها المادى والعقلى ، وهى تنكشف لنا بوسائل حيوية أكثر منها منطقية ، أى أن العامل الوحيد الذى يعترف بأحقيته هو ما يقتاد الأفعال الانسانية الى الظفر . ومن ثم كان مذهب البراجمية العصرية يعترف بأهمية جوهرية للدين والأخلاق ويمنحهما الصدارة الجوهرية على النظر المجرد .

المركنور محمد غمرب

أستاذ الفلسفة بالجامعة الأزهرية

من جمعية المحافظة على القرآن الكريم

- ستعقد الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم بإدارتها بدار الشبان المسلمين بشارع الملكة نازلى رقم ١٢ المسابقات الآتية :
- (١) مسابقة الحفظ لحديثى السن الذين لا يزيد سنهم عن ١٤ سنة فى الحفظ وأحكام التجويد شفويا .
- (٢) مسابقة كبار الحفظة من ١٤ سنة الى ٢٥ سنة فى الحفظ وأحكام التجويد تجريبيا . وهاتان المسابقتان على جوائز مالية . وتقبل الطلبات مصحوبة بشهادة الميلاد والصورة الشمسية من الآن لغاية ٢٥ يولية سنة ١٩٤٦ م .
- (٣) امتحان مسابقة طالبى وظائف التدريس فى مدارس الجمعية فى القرآن الكريم حفظا وتلاوة وأحكاما والحساب والخط واللغة العربية على وفق برنامج كفاءة التعليم الأولى . وتقبل الطلبات من الآن على ورقة عادية مصحوبة بالصورة الشمسية لغاية ١٥ يولية سنة ١٩٤٦ م باسم سمادة رئيس الجمعية شارع الملكة نازلى رقم ١٢

حياة خالد بن الوليد

خالد بن الوليد

- ٢٨ -

دولة الفرس بعد العرب :

أصاب القعقاع بن عمرو أهل « الحَصِيد » وهرب أهل « الخنافس » من وجه أبي ليلي بن فدكي ، فأبلغا خالدًا شأن نصرهما فيما وجههما إليه ، فكتب إليهما خالد وإلى أعبد بن مدكي ، وعروة بن الجعد ، بواعدهم ساعة من ليلة بعينها يجتمع فيها معهم بمكان يقال له « المَصِيخ » بين حوران والقلت ، وكان خالد مقبلاً بعين النمر ، ومنها نهض للقاء أصحابه ، فلما كانت الليلة التي واعدهم وافى خالد أصحابه في الساعة المعينة ، ووافوه بها ، فاجتمعوا بالمصيح ، وكان قد نزل به قوم من تغلب عليهم الهذيل بن عمران ، فبيتهم خالد وأصحابه من ثلاثة أنحاء ، فلم يفلت منهم سوى الهذيل مع نفر قليل من خاصته .

وفي هذه الواقعة أصيب عبد العزى بن أبي رهم ، ولبيد بن جرير ، وكانا قد أسلما وكتب لهما أبو بكر رضى الله عنه كتاباً باسلامهما ، فلما بلغ أبا بكر قتلها وبلغه قول عبد العزى حين قتل :

أقول إذ طرق الصباح بغارة سبحانك اللهم رب محمد
سبحان ربى لا إله غير رب البلاد ورب من يتورد

جعل يردد قوله : سبحانك اللهم رب محمد ، ثم وداهما ، وأوصى بأولادهما ، وقال : أما إن ذلك ليس على ، كذلك يلقى من ساكن أهل الحرب في ديارهم . وقد كان قتل هذين الرجلين مما يأخذه عمر بن الخطاب مضافاً إلى قتل مالك بن نويرة ، على خالد بن الوليد . والقارىء لهذه البحوث قد عرف شأن قتل مالك بن نويرة وبراءة خالد رضى الله عنه من إثمه ، وهو هنا يستشف من قولة أبي بكر رضى الله عنه في شأن هذين الرجلين عذراً وجهها لخالد وجيشه ، وأنه ليس على أحد في قتلها حوب ، بل إن الصديق رضى الله عنه يذهب إلى أبعد من ذلك فينبغي عن نفسه مسؤولية قتلها باعتبارها الإمام الأعظم ، فلو كان على أحد تبعه لكانت عليه ، ولكن كذلك يلقى من ساكن أهل الحرب .

كان خالد رضى الله عنه ممن ينتصر باسمه كما ينتصر بسيفه ، يسبقه اسمه إلى أعدائه قبل موافقتهم ، فيعمل الرعب في قلوبهم ما تعمله الصواعق ، ويشيع الفرع بينهم فتتحل قوهم ؛

روى الطبري عن عدي بن حاتم أنه قال : أغرنا على أهل المصيخ وإذا رجل اسمه حرقوص بن النعمان من التمر ، وإذا حوله بنوه وامراته وبينهم جفنة من خمر ، وهم عليها عكوف ، يقولون له : ومن يشرب هذه الساعة ، وفي أعجاز الليل ؟ فقال : اشربوا شرب وداع ، فما أرى أن تشربوا خرا بعدها ، هذا خالد بعين التمر ، وقد بلغه جمعنا ، وليس بتاركنا ، ثم قال :

ألا فاشربوا من قبل قاصمة الظهر بعيد انتفاخ القوم بالعكر الدثر
وقبل منايا المصيبة بالقدر لحين لعمري لا يزيد ولا يحري

ويروي ياقوت في معجم البلدان : أن ربيعة لما تجمعت إلى الهذيل بن عمران غضبا لعقة ابن عقة لتأخذ بنأره من خالد وجيشه ، نهام حرقوص بن النعمان عن مكاشفة خالد ، فعمصوه ، فرجع إلى أهله وهو يقول :

ألا فاستقياني قبل جيش أبي بكر لعل منايا قريب ولا ندرى
ألا فاستقياني بالزجاج وكررا علينا كيت اللون صافية تحري
أظن خيول المسلمين وخالدا سنطرقكم عند الصباح على البشر
فهل لكم بالسير قبل قتالهم وقبل خروج المصبرات من الحدر
أريني سلاحي يا أميمة إنني أخاف بيات القوم أو مطلع الفجر

عرف خالد رضي الله عنه بعد إيقاعه بأهل المصيخ أن ربيعة بن بحير التغلبي في جموع من العرب والفرس مقيم بالثني ، وهو جبل يأخذ في عرض الفرات من أرض الشام ، فتقدم إلى قائد القعقاع وأبي ليلى أن يسبقاه إليه ، وواعدهم ليلة معينة فيها يلتقون ، ورسم لهم خطة الهجوم ، وأن يأخذوا أعداءهم من ثلاثة أوجه ، على غرار ما صنعوا بأهل المصيخ ، وتم لهم ما أرادوا فلم يفلت من أصحاب ربيعة أحد ، وكثرت غنائم المسلمين في هذه الوقائع ، فقسمها خالد على جنده ، وبعث بالخمسة إلى أبي بكر مع النعمان بن عوف الشيباني ، وكانت في السبي ابنة لبيعة بن بحير ، فاشتراها على كرم الله وجهه ، فجاءت منه بولده عمرو بن علي ورقية .

كان الهذيل بن عمران قد لجأ بعد فراره إلى مكان يقال له « البشر » وهو جبل يمتد مع الثني ، وكان بالبشر رجل يدعى عتابا تجمع إليه عسكر ضخم لمنازلة المسلمين ، فبلغ نبأهم خالد رضي الله عنه ، فبيتهم ، ولم ينج منهم أحد ، ثم عطف إلى هلال بن عقة ، وكان متربصا بالرضاب وهو موضع الرصافة قبل أن يبينها هشام ، فلم يكذب يسمع أصحاب هلال بدنو خالد حتى أرفضوا عنه ، وخلوه وحده ، فزایل الرضاب ، واستولى عليه خالد دون قتال .

نظر خالد رضي الله عنه إلى ما صار في يده من سواد العراق فرآه أصلح معسكر يشب منه إلى فارس في مقر دارها ، وغمر ملكها ، بيد أنه رأى أن من وراءه القراض والتخوم وأطراف

العراق والجزيرة مما يلي الشام ، وفي الشام الروم ، لاتزال شوكة لو خلفها وراء ظهره واتجه الى قلب فارس ، لم يأمن شكسكتها ، وكان فيما أوصاه أبو بكر رضى الله عنه حينما وجهه لفتح العراق ، حماية ظهره أبدا ، فتوجه على تعبته الى الفراض ، وتسامعت بمسيره الروم في شامها ، واستعد للقاءه بقايا الفرس ولغائف من تغلب ، وإياد والنمر ، ونراسلوا مع الروم ، وكلهم حردان حاقدا على المسلمين ، قد شوى الغيظ أكبادهم ، وأنضج لخب الحفيظة قلوبهم لسوابق وطء المسلمين رقابهم ، وحلقهم نواصي أشرافهم ، وتمثلوا مصارع سادنهم بأيدي هؤلاء الذين كانوا فأصبحوا ، فاجتمعت من هؤلاء وأولئك جيوش جرارة ، وتلاقوا يفصل بينهم الفرات ، فقال الاخلاف للمسلمين : إما أن تعبروا إلينا أو نعبركم ، فقال سيف الله : بل اعبروا أتم إلينا ، فقال الاخلاف : فابتعدوا حتى نعبركم ، فقال خالد : لا ، ولكن اعبروا أسفل منا ، فأدرك الروم ما كان قد علمه الفرس من قبل عن خالد ، فقالوا : احتسبوا ملككم ، هذا رجل يقاتل على دين ، وله عقل وعلم ، ووالله لينصرن ، ولنخذلن !

أجل ، ولقد صدقوا ، فخالد أشجع الناس في حرب ، ولكنه البطل المكث لا يطيش له رأى ، فلم يستفزه العجب بسابقات الظفر ليدفع بجسده الى مضايق لا تؤمن طاقبتها ، فتصبر وأبى أن يعبر الى عدوه ، وطلب إليهم أن يعبروا إليه ليقاثل المسلمون أعداءهم في مكانهم الذي اختاروه لجولاتهم وأثقالهم على بصيرة . عبر الاخلاف أسفل من المسلمين حتى تم جمعهم ، ثم قالت الروم لفارس : امتازوا حتى نعرف اليوم من أين يكون الثبات أو التولى ، وهذا أول خطوات الهزيمة ، وإلا فإذا بقي من الروح المعنوية لجيش من لغائف الاجناس والعناصر ، تحالفوا على الشك في بعضهم ؟ وهل يبقى الشك لدى الجندي عزيمة إقدام ؟ وأين هذا من موقف خالد رضى الله عنه في وقعة اليمامة ، وقد عرف من الأعراب الذين تجمعوا معه ممن كانوا قد ارتدوا ، أنهم لا يقاتلون عن عقيدة ولكن طلبا للغنيمة ، فخشي أن يؤتى المسلمون من قبلهم ، فنهضهم عن حر السلاح وجعله لأهل اليقين من المهاجرين والأنصار ، يحورضى من أولئك الأعراب تكثير سواد المسلمين وقيامهم بما تقوم به فرق العمال في الحروب الحديثة ؟

امتاز الاخلاف وصف لهم المسلمون ، واقتتل الجمعان قتالا مررا ، وتبدت لخالد رضى الله عنه بشارت النصر يعقد بلواء المسلمين ، فقال لجنده : ألحوا عليهم ولا ترفهوا عنهم ، فجعل خيالة المسلمين ، يأخذونهم زمرا ، يرقل الفارس منهم الى الورقة من الاخلاف فيحشرهم يرمح أصحابه حتى إذا كانوا في حبالهم قضوا عليهم ، وكانت هذه الوقعة آخر وقعات خالد رضى الله عنه مع الفرس بالعراق ، وقد كثرت فيها قتلى الروم وفارس وأتباعهم من العرب حتى قدرها بعض المؤرخين بمائة ألف قتيل .

صادق إبراهيم عربونه

بحث في مقارنة القوانين الوضعية بالشريعة الإسلامية الغراء

قرارات مجمع التراث

لاحظنا أن وظيفة القسيس في الزواج مزدوجة ، فهي متصفة بالمدينة والدينية في آن واحد وترتب على هذا أن البروتستانت الذين ما كانوا يستطيعون التزوج أمام قسيس الكاثوليك يلجأون في رواجهم الى مأموري الدولة الذين كانت لهم أيضا سلطة إجراء عملية الزواج كقسيس الكاثوليك ، وكان يحصل هذا قبل إلغاء مرسوم نانت ، ولكن لما ألغى هذا المرسوم في ٢٢ أكتوبر سنة ١٦٨٥ وتقرر عدم إجراء الزواج أمام مأموري الدولة أصبح متعذرا على البروتستانت أن يتزوجوا إلا أمام القسيس الكاثوليكي . وقد أعطى الفقهاء لهذا الإلغاء كل ما يحتمل ويتصور من المعاني في هذا الموضوع . ومما زاد الصعوبة أيضا على البروتستانت صدور تصريح ١٣ أكتوبر سنة ١٦٩٨ الذي قرر عدم الاعتراف بوجود البروتستانتية في مملكة فرنسا ، فاستحال إذن على البروتستانت أن يباركوا زواجهم إلا إذا جحدوا عقيدتهم البروتستانتية ليتسنى للقسيس الكاثوليكي أن يبارك زواجهم .

وفي القرن الثامن عشر لطف الفقه من حدة هذا المبدأ وأخذ ينهيا لمرسوم سنة ١٧٨٧ ، وذلك تحت تأثير الآراء الحديثة وفكرة الحرية ، وهذا المرسوم الأخير أباح للبروتستانت الزواج حسب رغبتهم سواء أمام موظف من موظفي وزارة العدل أو أمام قسيسهم الذي يقوم بهذه المهمة لا بصفته رجلا دينيا وإنما كأمور أو موظف مكلف بإثبات حالة مدنية من قبل الحكومة ، وكانت نتيجة اختلاف المذاهب الدينية في فرنسا الى ما قبل الثورة سببا لجعل زواج البروتستانت من الأحوال والأمور المدنية .

تشريع الثورة

حينما أعلنت الثورة الفرنسية حرية العقائد والأديان لزمها أن تجعل الزواج من الأمور المدنية ، وقد ساعدت في تقرير هذا المبدأ نظريات الفقهاء وعلماء الكلام الذين يرون أن الزواج عقد من العقود ، كما ساعدت على ذلك أيضا الفلسفة ، فدستور سنة ١٧٩١ قرر مبدأ القانون الذي بمقتضاه يعتبر الزواج عقدا مدنيا ليس للكنيسة تنظيم أمره من حيث الشكل

والشروط بل إن القانون هو الذي ينول هذا الأمر ، كما قرر هذا الدستور أن الناس أحرار في عقائدهم ، وأن الدولة لا تتدخل في هذا الموضوع ولا تجبر فردا أو شخصا على اعتناق دين أو مذهب ما ، وأن تدخلها في ذلك انتهاك لمبدأ حرية العقائد . وقد جاء مرسوم ٢٠ سبتمبر سنة ١٧٩٢ منظمًا لوثائق الأحوال المدنية كشهادة الميلاد والوفاة وغير ذلك ، فإنه يجب أن تتم هذه الأشياء أمام أحد مأموري المجالس البلدية .

ولو أن الزواج قد فقد صفة الدينية فإنه مع ذلك ما زال محتفظا بصفته الاشهارية حيث رضا الزوجين لا يكفي ، بل يجب شروط أخرى خاصة ، وذلك لأن الزواج له علاقة كبرى بالمجتمع وبالصالح العام ، ولا يهبط لدرجة العقود الخاصة أو العقود العرفية أو السرية ، وفي إشهار الزواج وإعلانه ضمان وحماية لحرية المتعاقدين والتأكد والوثوق من رضائهما ، ولتأسيس الزواج على أساس متين ليحفظ حقوق الأولاد والأقارب ، إذ بهذه الشروط وهذا الاشهار يتنبأ لهم مقدما دليل سهل قوى الأركان ثابت الدائم لأم عقد في الحياة . وفي الواقع أن تشريع الثورة الفرنسية لم يأت بشيء جديد غير نقل الاختصاص من رجال الكهنوت إلى موظفين حكوميين .

وترتب على هذا التشريع أن القسيس يستطيع التزوج بعد أن كان محرما عليه ، كما أجاز تشريع الثورة المذكورة الطلاق وأدخل تعديلا على موانع الزواج التي لها صفة دينية ، وكما قرر أن موافقة أصول الطرفين لمعد الزواج غير ضرورية إذا جاوزت سنهما خمسا وعشرين سنة كاملة .

الشروط الموضوعية لصحة الزواج وموانع الزواج :

هي (خصوصا في القانون الجرمانى) موافقة الأبوين والزوجين والنسأوى في المركز الاجتماعى ، أو على الأقل حرية الزوجين . وكان ينظر للزواج الحاصل بين أشخاص من طبقات مختلفة بعين البغض والكراهة بينما أنه بالنسبة للاعتبارات الأخرى غير اختلاف المركز الاجتماعى كان القانون الجرمانى ينظر إليها بعين التسامح والتساهل ، وفي الوقت نفسه كانت الكنيسة التي تسلمهم وتستنير بأراء مخالفة لما في القانون الجرمانى لا تعبر فوارق المركز الاجتماعى اهتماما ، حيث ترى أن جميع المؤمنين بها متساوون أمام الله ، ولكن ركزت اهتمامها نحو الفوارق الدينية ، كما اعتبرت الزواج مسألة من المسائل الأخلاقية ، ولهذا الاعتبارين ضاعفت كثيرا من موانع الزواج على خلاف طاعتها فيما يختص باعتناق الدين ، واستنبتت من موانع الزواج وسيلة تقوم مقام الطلاق ، وهي اعتبار الزواج الذي لم تتحقق فيه الشروط المقررة باطلا وكأنه لم يكن ، بمعنى أنه إذا رفع إليها أمر زوجية أصبحت المعاشرة فيها لا نطق تنلس الأعذار توصلا للقضاء على هذه الحياة الزوجية ، وتعتبر أن هذا علاج يقوم مقام الطلاق

حيث تبحث أطوار هذه الزوجية عليها تجدد مانعا يمنع من حصول الزواج ابتداء ، فإذا لم تجدد خلقت وابتكرت مانعا توصلنا للحكم ببطالان الزواج ، ولهذا كثرت موانعه .

وبجانب تساهل القانون الكنسى بالنسبة لموافقة الأبوين على زواج ابنهما أو بنتهما نجد أن تشريع الملك كان في فرنسا على عكس ذلك حيث بعث إلى الحياة مبادئ القانونين الرومانى والجرمانى التى تقرر ضرورة موافقة الأبوين على زواج ابنهما .

ومن هذا يتضح الفرق بين التشريعين الملكى والكنسى ؛ فالتشريع الكنسى يعتبر الزواج أمراً من الأمور الدينية المحضة ، بينما التشريع الملكى يرى أن الزواج عبارة عن اتحاد بين مائتين ، وعلى خلاف ذلك يرى تشريع الثورة الفرنسية أنه عقد بين فردين كما قرره بقدر الامكان من العقود العادية ، فألغى الموانع الدينية التى ابتدعتها الكنيسة والتى لها مساس بالعقيدة الدينية ، كما ألغى أيضاً موانع الزواج التى ترجع للنظام القديم الخاص بالمائلة .

تقسيم الموانع :

تنقسم الموانع إلى قسمين : موانع مبطلّة وموانع محرمة . وهذا التقسيم كان من عمل المحاكم الكنسية إذ هى التى كان يرفع إليها أمر الزواج للحكم بصحته أو عدم صحته ، وكانت تتردد وتنقهر أمام أحوال إلغائه ، وهذا التردد كان سبباً في إدخال أول تعديل للموانع التى أكثر منها .

الموانع المبطلّة أو الفاسخه للزواج :

المانع الأول : عدم الرضاء مانع من صحة الزواج ، وينعدم الرضاء إذا انعدمت موافقة أحد الزوجين على الزواج ، كما ينعدم في خالى السكر والجنون . ومن قرارات مجمع الترانس لم تفرض صيغة دينية ما للتعبير عن الرضاء ، ولكن الرضاء قد تلحقه عيوب تؤثر فيه وتترتب على ذلك آثار تعتبر موانع من صحة الزواج سندكرها فيما بعد .

فميوب الرضاء : هى الخطأ ، والاكره ، والخطف أو الغصب Rapt

فالخطأ إما أن يكون خطأ في ذات الشخص وفي هذه الحالة يكون مانعا من صحة الزواج ، وإما أن يكون خطأ في المركز الاجتماعى للشخص ، وفي هذه الحالة أيضا يكون مانعا من صحة الزواج ، وقد يكون الخطأ في صفة من صفات الشخص الأساسية التى يعتبر بها الشخص شخصا آخر كصفات الشخص المسكونة لحالته المدنية état civil كأن يزعم شخص أنه أمير فإذا هو حقير ، وأما الخطأ في الثروة أو الحالة كأن يظن الشخص حراً فإذا هو رقيق فإن مثل هذا الخطأ لا يعتبر مانعا من صحة الزواج .

وأما الإكراه فلا يكون مانعا من صحة الزواج إلا إذا كان منافيا للأخلاق والعادات الفاضلة أو أن يترتب عليه ضرر بليغ مستمر . وأما الخوف الناشئ عن الاحترام كخفية الوالدين فلا يكون مانعا من صحة الزواج . ويشترط في الإكراه المعتبر مانعا من صحة الزواج أن يكون مستمرا فإذا زال الإكراه وحصل الرضاء بعد ذلك صح الزواج ، كما أن دوام المعاشرة لمدة سنة ونصف بعد زوال الإكراه يصحح الزواج . ولكن منذ قرارات مجمع الترانس يجب لمثل هذه الحالة إجراء إشهار جديد للزواج . ولا يعتبر الخوف البسيط مانعا من صحة الزواج . ويلاحظ أن الزواج الحاصل عن إكراه إذا حصل به دخول حقيقي من غير إكراه لا تتوجه إليه بعد ذلك طعون .

وأما الغصب أو الخطف إن حصل بإكراه فهو مانع من صحة الزواج ولو زال الإكراه بعد ذلك وبقيت المرأة المخطوفة أو المغموسة بين يدي خاطفها أو غاصبها ، لأن المرأة تعتبر في مثل هذه الحالة فاقدة أهلية الرضاء الذي يجب أن يحصل ويتم بكل حرية .

وأما إذا حصل الخطف أو الغصب بطريق الاغواء فقد ألحقه الفقه المملوكي الفرنسي بالإكراه رغبة منه في منع زواج القاصر الذي يحصل من غير موافقة من أبويه ، حتى لقد ذهب هذا الثقة بعيدا فافترض وجود هذا النوع من الخطف أو الغصب الاغوائيين في كل زواج يحصل من القاصر بدون موافقة أبويه .

صالح بكير

المدرس في كلية أصول الدين

(يتبع)

فضل المال

الاسلام دين اجتماع وصران وعلم ومدنية ، فلذلك لا يعتبر المال فيه من الشرور ، إن حسن القيام عليه ، وبذل في الوجوه المؤدية الى خير المجتمع . فقد قال الله : « إن ترك خيرا » معنى المال خيرا .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « نعم العون على طاعة الله الغنى ، ونعم السلم الى طاعة الله الغنى » .

وقال خالد بن صفوان ، من حكماء المسلمين ، لابنه وهو يعظه : « يا بني أوصيك بثلثين ، لن تزال بخير ما تمسكت بهما : درهمك لمعاشك ، ودينك لمعادك » .

لغويات

٤١ - الأستاذ، والاستاذة :

دخلت كلمة الأستاذ في العربية ، ومعناها الماهر في صنعه . وغلب إطلاقها على الحاذق في عمله . وفي عصرنا درجة الأستاذ من درجات المدرسين في الجامعة ، ودرجة الأستاذ أيضا من درجات المنتهين من دراستهم في الجامع الأزهر . وتطلق أيضا على المحامي أو الوكيل في القضايا أمام القضاء .

وقد عنى أن أبحث تاريخ دخول هذه الكلمة في العربية ، واستضافة العربية لها . وهاك ما وقفت عليه :

يقول الجواليقي (١) : « فأما الأستاذ فكلمة ليست بعربية . يقولون للماهر بصنعه أستاذ ، ولا توجد هذه الكلمة في الشعر الجاهلي . واصطلحت العامة إذا عظموا الخصى أن يلقبوه بالأستاذ . وإنما أخذوا ذلك من الأستاذ الذي هو الصانع ، لأنه ربما كان تحت يده غلمان يؤدبهم ، فكأنه أستاذ في حسن الأدب ، ولو كان عربيا لوجب أن يكون مشتقا من الستد ، وليس ذلك بمعروف » .

والكلمة فارسية ، وقد أهمل الكلام على أصلها ما وقفت عليه من المراجع العربية . وقد أخبرني بأصلها الفارسي من رآها في معجم ستنجاس .

ولأنها فارسية الأصل فقد استعملها في مبدأ الأمر أهل العراق لاتصالهم الوثيق بأهل فارس ، وانتقلت منها إلى الجزيرة والشام ، ثم منهما إلى سائر البلاد العربية . قال أبو البقاء في شرح ديوان أبي الطيب : « الأستاذ كلمة ليست بعربية . وإنما يقال لصاحب صناعة كالفقيه والمقرئ والمعلم . وهي لفظة أهل العراق ، ولم أجدها في كلام العرب . وأهل الشام والجزيرة (٢) يسمون الخصى أستاذا » .

ومن لقب بالأستاذ أبو الفضل محمد بن العميد وزير ركن الدولة ابن بويه الديلمي . وهو الكاتب اللوذعي الذي قيل فيه : بدئ الكتابة بعبد الحميد ، وختمت بابن العميد . وكان صاحب بن عبادة قد زار بغداد فسأله ابن العميد عنها فقال : بغداد في البلاد كالأستاذ في العباد . وكانت وفاة الأستاذ ابن العميد سنة ٣٦٠ هـ .

(١) المغرب ص ٢٥ (٢) يريد جزيرة أقور . وهي ما بين دجلة والفرات في الشمال وفيها ديار مضر وديار بكر . ومنها الموصل .

ومن لقب بالاستاذ أيضا أبو المسك كافور الأخشيدى ، الذى استقل بملك مصر
فى سنة ٣٥٥ ، وقد وفد عليه المنبىء فى مصر ، ومدحه بقصائد غاية فى الجودة والسمو
الفنى ، ومنها قصيدة مطلعها :

كنى بك داء أن ترى الموت شافيا | وحسب المنايا أن يكن إمانيا |
يقول فيها :

مدنى بلغ الأستاذ أقصاه ربه | ونفس له لم ترض إلا التناها
وفى هذه القصيدة البيت المشهور :

قواصد كافور ، توارك غيرة | ومن قصد البحر استقل السواقيا
ويقول فى قصيدة أخرى :

ترعرع الملك الأستاذ مكتها | قبل اكتهال ، أدبا قبل تأديب
وكانت وفاة كافور سنة ٣٥٦ فى مصر .

وقد تلقب به عدد كثير من العلماء ، كالاستاذ أبى اسحق الأسفريائى ، من أساطين
علماء الشافعية . وكانت وفاته سنة ٤١٨ .

وبعد أن بان لك أن كلمة الأستاذ فارسية الأصل كانت كل حروفها أصولا ؛ ولو أنها
كانت عربية لكان ميزانها فعلا ، لا أفعالا ، إذ لا يوجد فى الأوزان العربية هذا الأخير ،
فأما فعلا فقد صاغت العرب عليه كقُرطاس وقرناس ، وألحق به نحو قوباء . فعلى هذا
التقدير تقدير عربيته تكون مادتها أستاذ لستد ، على خلاف ما صر بك فى كلام الجوالين .

وبعد هذا أعرض لما يجرى فى هذه الأيام من وصف من أحرز شهادة علمية خاصة من
النساء بالاستاذة ، وكذلك وصف من يزاول منهن مهنة المحاماة عن المنهجين أمام المحاكم ،
فيقولون : الأستاذة فلانة . فترام ألحقوا الأستاذ علم التأنيث ، ولم نر هذا فيما وقعنا عليه ،
وليس الأستاذ من الأوصاف حتى يكون تأنيثه مطردا ، بل هو من الأسماء الجامدة ،
فلا يقدم على تأنيثه إلا إسماع . « ولهذا (١) الأصل أنكر الصفدى قولهم للظبية : غزالة ،
مع ورود غزال للمذكر ؛ لأنه لم يثبت عنده أن العرب قالوا غزالة . وما خالفه الدمامينى فى
ذلك إلا بعد وقوفه على شواهد من كلام العرب تقتضى صحة استعمالها »

فإن سأل سائل : فما أنت قائل إذا أردت أن تصف الانثى بهذا الوصف ، فهل تحظر أن
تطلقه عليها ؟ قلت : إنى أوتر أن أطلق كلمة الأستاذ هكذا طارية من علم التأنيث على الانثى ؛
من قبيل أن هذا الوصف متعارف فى الرجال ، فيبقى على حاله ، ولو وصف به مؤنث .

(١) من كتاب التباس فى اللغة العربية للأستاذ العلامة الشيخ محمد الحضر حسين ص ٨٤

وإني أستند في رأيي هذا إلى ما رآه ابن السكيت وذهب إليه في بضعة ألفاظ . فقد نقل عنه الشهاب في شفاء الغليل في حرف الواو أن الوصى والأمير والعالم والوكيل يجوز (١) أن تظل هكذا بدون تاء تأنيث حين تجرى على المؤنث ؛ لكثرتها في الرجال فأجريت على الأصل . ويقول الشهاب : إن ابن السكيت جعل من هذا الأصل قوله تعالى : « إنها لإحدى الكبر » ، نذيرا للبشر ، فنذيرا حال من إحدى الكبر وهو مؤنث . وقد جاء النذير هكذا لكثرتها في الرجال ، وفي الآية تخريجات أخرى ؛ منها أن نذيرا مصدر بمعنى الإنذار كالنكير ، وهو تمييز ، ومنها أن نذيرا ورد على النسب أي ذات إنذار ، فلم يجر على الفعل ، ومن ثم لم يؤنث .

ومن قبل ما ذكره ابن السكيت ما ذكره بعضهم في قوله تعالى : « كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا » ، فإن حسيبا يجرى على النفس ، وذكر لأن الحساب مما يتولاه الرجال . وهناك أيضا تخريجات أخرى .

وللقارىء أن يسأل : إنما تأنسى بقول ابن السكيت إذا كان يرى هذا قياسا يصح امتثاله ، فهل هو براه حقا قياسا عنده ؟ وأقول : إن الشهاب شك في هذا ، ويقول : « وليس في كلامه ما يدل على أنه مماع أو قياس » . ولكن إذا عرفنا أن ابن السكيت من الكوفيين الذين يتوسمون في القياس ، ويقىسون على الشاهد الواحد ، ترجح عند الناظر أنه يقول بالقياس ، وقد ورد أكثر من شاهد كما سلف لك ، لاسيما وله مدرك معقول .

ومما يؤيد هذا المذهب أن اللغة الفرنسية فيها بضعة ألفاظ لا تتغير فيها صيغة المذكر إذا أجريت على المؤنث لكثرتها في الرجال ، ومن ذلك ما يقابل كلمة أستاذ في بعض معانيها ، وهو بروفيسور Professeur ، ودكتور Docteur ، وما يقابل كلمة مؤلف Auteur وطاشق Amateur . ولا بدع أن تتوافق المدارك اللغوية في اللغات المختلفة

على أنه يمكن تخريج التأنيث على إجراء هذه السكينة لجرى الوصف ، وقد علمت أن ابن جنى يميز في مثل هذا أن يضاف إليه علم التأنيث . وعلى هذا يصح أن يجمع جمع تصحيح فيقال : الأستاذون ، وقد مر في هذا الجمع ، ولا أذكر الآن موضعه . فأما الجمع الذي لا ريب فيه فالأساتيد ؛ قال أبو البقاء في شرح ديوان أبي الطيب : « الأستاذ جمعه أساتيد » .



٤٢ - هذا الرجل حاذق في العلوم التاريخية واللغوية بل والعلوم الطبيعية :

ترى هذا الأسلوب في كتابات المصريين ، ، وم لا يرون فيه جناحا ولا حرجا ، ومن يعم

(١) ويجوز أن ترد بالتأنيث على الأصل ، قال الشاعر :

ولو جاءوا برملة أو بهند لبأينا أميرة مؤمنينا

فيه ير فيه مخالفة لما أثبتته النحويون ودونوه في كتبهم . ففيه دخول بل . وهي من حروف
المطف على الواو وهي أيضا عاطفة ، وذلك مما يباه النحويون وينكرونه ، ولا يستسيغه
النظم العربي . وقد يتوهم القارئ أن من دخول العاطف على العاطف نحو قوله تعالى : « ما كان
محمد أباً أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين » ، فقد دخلت الواو على لكن ،
وكلاهما من حروف المطف . ولكن إذا علم أن لكن هنا تجردت عن المطف ونمحصت
للاستدراك زال عنه هذا الوهم . وقد جاء قوله تعالى في سورة الأعراف : « وكم من قرية
أهلكناها فجاءها بأسنا بياتاً أو هم يحنلون » . وجلة هم قائلون حالية معطوفة على بياتا ، وكان من
شأن هذه الجملة أن تقرن بواو الحال الرابطة . ولكن جاء النظم الكريم هكذا بحذف الواو
كراهية لدخول أو وهي من حروف المطف على ما يماثل حرف المطف في اللفظ . وللنحويين
خلاف طويل الذيل في جواز أن يقال : اذكر ربك قائماً أو وأنت قاعد ، فيمنعه بعضهم
محتجاً بأن واو الحال في الأصل للمطف استعميت للربط في الجملة الحالية . هذا وفي الآية
تخرج آخر لا يميننا في هذا المقام .

وأعود للكلام على المثال الذي ذكرته في صدر هذا البحث ، فقد يقول قائل : أجمل بل
هنا غير عاطفة ، بل هي مجرد الإبطال ، فيقال لهذا القائل : إنها إذا لم تكن عاطفة كانت داخلة
على جملة ، وأين الجملة هنا ؟ وقد يتكلف متكلف فيقول : إن التقدير : بل هو ماهر في
العلوم السابقة والعلوم الطبيعية ، وتكون بل لأبطال ما يؤهمه الاختصار على ما قبلها من جهل
المحدث عنه بالعلوم الطبيعية . وهذا التكلف البعيد حري أن يصرف الناس عن هذا الأسلوب
ويرجعوا إلى الجادة ويدعوا بُذَيَّات الطريق . وماذا عليهم لو أسقطوا بل في هذا الأسلوب ،
أو قالوا : بل يعلم وراء ذلك العلوم الطبيعية !

محمد علي النجار

المدرس في كلية اللغة العربية

ابن سينا وعصره وصلته بالعلماء

— ٣ —

بيننا في المقال السابق صلة ابن سينا بأحد علماء عصره ، وهو أبو الريحان البيروني ، بعد أن أعطينا صورة مبصرة عن البيئة السياسية والعلمية التي أحاطت بالشيخ الرئيس . وهما نحن اليوم نذكر بعض صلات ابن سينا بنظر آخر من علماء عصره .

أبو الفرج الطيب :

هو أبو الفرج عبد الله بن الطيب الفيلسوف العالم ، عراقي المولد ، كان متميزا في النصارى ببغداد ، وكان يقرأ صناعة الطب في البيمارستان العضدي ويعالج المرضى به ، اعتنى بشروح الكتب القديمة في المنطق وأنواع الحكمة من تأليف أرسطو ، ومن الطب كتاب جالينوس ، وبسط القول في الكتب التي تولى شرحها بسطا شافيا قصد به التعليم والتفهيم .

ويذكر ابن أبي أصيبعة أن الشيخ الرئيس كان يحمّد كلام أبي الفرج في الطب ، وأما في الحكمة فكان يذمه ، وقد قال في مقالة له في الرد عليه ما نصه « إنه كان يقع الينا كتب يعلمها الشيخ أبو الفرج بن الطيب في الطب ونجدها صحيحة مرضية خلاف تصانيفه التي في المنطق والطبيعيات وما يجري معها » .

ويذكر البيهقي أن الشيخ أبا علي كان يذمه ويهجن تصانيفه ويقول في المباحث : من حق تصنيفه أن يرد على بآئمه ويترك عليه ثمنه . ويقول في موضع آخر « كان أبو علي يعترف بتقدمه في صناعة الطب ثم يعترض على بعض رسائله في الطب ويقول « ظننت أن أبا الفرج كان مقدما في الطب إلا أن كلامه غير فصيح ، فبعضه مستقيم وبعضه سقيم ، فهو من المستطرفين لا من أصحاب الصناعة » .

ويتفق القفطي وابن أبي أصيبعة والبيهقي على أن أبا الفرج كان حكيما ملء إهابه وداخلا بيت الحكمة من أبوابه ، وأبا علي كان مؤذيا مهجنا . وهذا يتفق إلى حد كبير مع ما قاله دي بور من أن أبا علي لم يعترف لاحد من أهل زمانه بفضل إلا للأمرء الذين أظلوهم في كنفهم . ويروي البيهقي أن أبا الفرج عندما اطلع على تهجين البيروني للشيخ الرئيس قال « من أجل الناس نجلاه ، ناب عن أبي الريحان » وقد تلمذ لأبي الفرج المختار بن الحسن بن عبدون المعروف بابن بطلان وغيره . ويقول ابن بطلان « ظل شيخنا أبو الفرج عشرين سنة في تفسير ما بعد الطبيعة ومرض من الفسك فيه مرضة كاد يلفظ نفسه فيها » وهذا يدل على حرصه واجتهاده وطلب العلم لعينه ، وتوفي أبو الفرج سنة ٤٣٥ هـ حسب رواية القفطي .

ابن بهنام : ولد سنة ٣٣٩ هـ

هو أبو الخير الحسن بن بابا بن سوار بن بهنام ، سمي كذلك للتميز بينه وبين شخص كان يدعى أبا الخير صاحب البريد ، وقد سها من قال هو أبو الخير الخار . وهو بغدادى المولد ، وقد حمل الى خوارزم شاه ، وكان نصرا نيا خبيرا بصناعة الطب وفروعا خبيرا بغوامضها كثير الدراية بها ، له مصنفات جليلة فى صناعة الطب وغيرها ، وكان خبيرا بالنقل ، وقد نقل كتب كثيرة من السريانى الى العربى ، وقرأ الحكمة على يحيى بن عدى . ومن طريف ما يذكر أن هذا الحكيم لما حمل الى غزنة بأمر السلطان محمود بن سبكتكين بعد استيلائه على خوارزم عرض عليه الاسلام فأبى وكان إذ ذاك قد جاوز المائة ، وفى ذات يوم مر على مكتب به معلم حسن الصوت كان يقرأ سورة « الهم أحسب الناس أن يتركوا . . . » فوقف ابن بهنام حتى سمعها وبكى ساعة لفرط التأثر ، وفى تلك الليلة أتاه النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام وقال له « يا أبا الخير من لك مع كمال علمك يقبح أن يشكر نبوتى » فأسلم أبو الخير فى منامه على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما انتبه من منامه أظهر الاسلام وتعلم الفقه وحفظ القرآن على أكبر سنه .

روى البيهقى أن أبا علي قال فى بعض كتب أبى الخير : « فأما أبو الخير فليس من عداد هؤلاء ، ولعل الله يرزقنا لقاءه فيكون إما نافعا وإما استفادة » ويرد على بعض الناسخين الذين ذكروا أن ابن سينا قال « وأما أبو نصر » ويقول إن هذا غلط عظيم لأن أبا نصر الفارابى مات قبل ولادة ابن سينا بثلاثين سنة .

ابن زيلة :

هو الحكيم أبو منصور الحسين بن طاهر ، كان أصفهائى الأصل والمولد ، وهو من خواص تلاميذ أبى على ومن بطانته ، وقيل إنه أيضا كان مجوسى الملة ولكن لم يتحقق من ذلك ، وكان طالما بالرياضيات وماهرا فى صناعة الموسيقى . ومن تصانيفه « الاختصار من طبيعيات الشفاء » و « شرح رسالة حى بن يقظان » وفيها يقول : الحى عبارة عن النفس الكلية ، واليقظان عبارة عن العقل لأنه أشبه بالحى من النائم ، وهو قائل عن النفس ، هو إشارة الى ترتيب الموجودات نازلة سلسلة الترتيب » وله كتاب فى النفس ورسائل أخرى ، وكان قصير العمر ، مات بعد موت أبى على باثنتى عشرة سنة . ومن كلماته : لا تنفكر فى الأمور المستقبلية فانك لا تدري ما يأتىك منها وما لا يأتىك . إذا عادى بعض أعدائك بعضا كان فى اشتغال بعضهم ببعض شاغل عنك . وإذا تنازعت القوة الشهوانية والغضبية فرغت من أذيتهما . وقد قال أرسطو أصلح الشهوانية بالغضبية والغضبية بالشهوانية .

الجوزجاني :

كان من خواص أبي علي وأحلاس مجلسه وندمائه وخدمه ، وهو الذي أغان أبا علي على جمع كتاب الشفاء ، وألحق بآخر النجاة والرسالة العلائية طرفاً من العلوم الرياضية ، وفسر مشكلات القانون ، وشرح رسالة حي بن يقظان ، وصنف بالفارسية كتاب الحيوان ، ولم يوجد في تلامذة أبي علي أقل بضاعة منه ، وقد قال بعضهم إن الحكيم أبا عبيد كان في مجلس أبي علي شبه مرید لا شبه تلميذ مستفيد . ومن كلام الجوزجاني قوله : ثلاثة أشياء القليل منها خير من الكثير ، محبة السلطان والنساء والمال ، وقال : من الذي يحب السلطان فسد مات له منه السلامة . ولعله في هذا يشير إلى ابن سينا وما لاقاه من محبة السلاطين .

أبو عبد الله المعصومي :

هو أحمد وقيل محمد بن أحمد أبو عبد الله المعصومي ، وكان أفضل تلامذة أبي علي ، وهو الذي صنف الشيخ باسمه كتابه في العشق وقال « سألت أسعدك ! يا أعبد الله الفقيه المعصومي » . ولما أجاب أبو علي على أسئلة أبي الريحان البيروني واعترض هذا على أبي علي وهجنه أجاب المعصومي عن اعتراضات أبي الريحان وقال لو اخترت يا أبا ريحان لمخاطبة الحكيم ألفاظاً غير تلك الألفاظ لسكان أليق بالعقل والعلم . وكانت أبو علي يقول للمعصومي أنت مني بمنزلة أرسطو ، ونسبت إلى المعصومي هذا رسالة في عالمية الله .

بهمن يار :

هو أبو الحسن بهمنيار بن المرزبان ، وكان تلميذاً لابن سينا ، وكان مجوس الملة غير ماهر في كلام العرب وكان من بلاد أذربيجان ، والمباحث التي لابي علي أكثر مسائل بهمن يار الذي كان يبحث عن غوامض المشكلات ، ويكاد يكون متفقاً تماماً مع آراء أستاذه عدا ما قاله في الهيولى فهي عنده مسلوقة بعض جوهرينها ، وهي باعتبار إمكان الوجود لا تعدو عنده أن تكون معنى ذهنياً . وليست الإرادة عند بهمنيار سوى إدراك المرید لما يلزم عن ذاته ، وحياة النفس الناطقة وسعادتها هي في إدراكها لذاتها . وقد صنف كتاب التحصيل وكتاب البهجة والسعادة وكتاباً في الموسيقى ورسائل كثيرة . ونوفي سنة ٤٥٨ هـ بعد وفاة ابن سينا بثلاثين سنة .

مسكويه :

هو أبو علي أحمد بن يعقوب بن مسكويه ، وقد اختلف المؤرخون في اسمه فبعضهم قال مسكويه ، وبعضهم قال ابن مسكويه ، وليس هنا مجال التفصيل في ذكر براهين كل فريق ولسكنا نرجع الرأي الأول . تاريخ ولادته غير معروف ، واختلف المؤرخون في تاريخ وفاته ، فقال

القفطى ابن مسكويه عاش طويلا الى أن قارب عام ٤٢٠ هـ ويقول صاحب كشف الظنون في (٢٠ ص ٩٨ طبعة مصر ١٢٧٤) هـ : إنه توفي في سنة ٤٢١ هـ . ويقول ياقوت في معجم الادباء (٢٠ ص ٨٨ طبعة مرجليوث) : إنه توفي ٩ صفر سنة ٤٢١ هـ . وقد ظهر مسكويه في ابتداء القرن الخامس الهجرى وكان ابن سينا لا يزال فتي ، وكان مسكويه أكثر ميلا للسكندى منه الى الفارابى ، فهو لم يتبع الفارابى في نواحى تفكيره الميتافيزيقى .

ذكر البيهقى في معرض كلامه على أبى الفرج الطيب أن ابن سينا دخل على مسكويه والتلامذة من حوله فرمى ابن سينا اليه جوزة وقال بتين مساحة هذه الجوزة بالشعيرات . فرجع مسكويه أجزاء كتاب الاخلاق ورماها الى ابن سينا وقال : أما أنت فاصلاح أخلاقك أولا حتى أستخرج مساحة الجوزة ، وأنت أحوج الى إصلاح أخلاقك منى الى مساحة الجوزة . ولم يذكر البيهقى أى حادثة بين ابن سينا ومسكويه غير هذه الحادثة . وكذلك لم ينكر ابن أبى أصيبعة ولا القفطى ولا دى بور شيئا من ذلك ، ولا أرى أذكر الشهر زورى في كتابه « زهة الأرواح » شيئا مما أم لم يذكر .

ختام : وبعد فهذه صورة مصغرة للبيئة السياسية والعلمية التى أحاطت بالشيخ الرئيس ، وبعض صلاته مع بعض علماء عصره ، تبين خلالها أخلاق الرئيس ومبلغ تأثير البيئة فيه .

مركز تحقيق كاميور علوم
معيد زهير

لبسانسيه في الفلسفة

النفع والضرر

قال الشاعر :

إذا أنت لم تنفع فضر فاعلم خلق الفتى كبا يضر وينفع

يجب أن يفهم من هذا البيت أن الانسان الكامل ينفع ويضر ؛ ينفع نفسه وقومه فيما لا أذى منه على الغير ، ويضر الأشرار ردعاً لهم عن إيذاء الناس . أما أن يفهم منه النفع لنفسه وذويه ، والاضرار بغيرهم فما لا يقول به عقل ولا شرع ، ولا يستقيم أمر العالم عليه . واذم شاعر بنى ذبيان بقوله :

وما فعلت بنو ذبيان خيرا ولا فعلت بنو ذبيان شرا

وهذا البيت يجب أن يفهم على نحو ما قدمنا . أما على النحو الذى يريده بعض الناس ، فلا يمكن أن يوجد له مسوغ ؛ فان من لا ينفع ولا يضر خير ممن لا ينفع ويضر .

مكارم الاخلاق

- ٢ -

وقد كانت أصول هذه الفضائل الكريمة ، والسجايا الحميدة مغروسة في نفس حاتم منذ طفولته الاولى ، نشأ عليها ، وتقلب في أعطافها ، ومرح في ظلالها الوارفة ، ولقن من أبيه وأمه ، وتعلأ من أجواء قومه ، وكانت أعمال سروات طيء تبعث في نفس الفتى الناشئ أصمى المعاني الانسانية وأنبئها ، ولم يكن آباؤه من ذوى الاقدار الوضيعة ، والنفوس الصغيرة ، ولكنهم كانوا ذوى مجد وسؤدد ، وأصحاب مكارم وكرائم ؛ يتحدث بذلك حاتم في شعره ويتحدث به الشعراء حين يمدحونه .

هذا سغب ممتد دفعه الهم واليأس بعد أن هدأت كل نامة ، وسكن كل ذى روح ، وأرخى الليل سدوله على الصحراء الموحشة ، وليس في الآفاق إلا أصدااء تتجاوب ، وهو يغالب أهوال السرى وتغالبه ، ويؤائب السكد والجوع والهم ونوائبه ، يخيل اليك أنه مجنون وما به جنون ، ينلس القرى ، ويتطلب المعروف ، ويبحث عن الأمن ، وبينما هو كذلك إذ يسمع نباح كلب كريم ، ويرى بين يديه رجلا حلوا الشمائل ترف أضواء السكرم على أسرة وجهه ، فيفرخ روعه وتهدأ بلبله ، وبعد أن يصنع الشاعر هذه الصورة القوية في شعر بدوى رصين يحدثنا عن فعله هو معه :

فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا رشدت ولم أقعد اليه أسائله
وقت الى برك هجان أعدده لوجبة حق نازل أنا فاعله
بذلك أوصاني أبي وبمثلله كذلك أوصاه قديما أوائله

وما أخرى المصلحين الاجتماعيين اليوم الذين يريدون أن يحاربوا الفقر والمرض ، وما أجدر أصحاب الأموال الذين يتظاهرون بالمعطف على الفقراء ، ما أحقهم جميعا أن يفهموا هذا الشاعر العربي الساذج ويتأملوا قوله « ولم أقعد اليه أسائله » !

ولا يجهل من يقصده من الشعراء مكانة آباءه بين سراة القبائل العربية ، ومدى اقتضاء حاتم آثارهم في كرم الفعل وجميل الخصال . . . وقد عليه أبو جليل قيس بن خفاف البرجمي — وكان شريفا شاعرا — في حمالات حملها عن قومه ولكنهم أسلموه فيها فقصده حاتما وقال له : « إنه كان بين قومي دماء فتواكلوها وقد حملتها وعولت في ذلك على مالى وآمالى ، أما مالى فقدمته وكنت أكبر آمالى » ثم أنشد :

يعيش الندى ما طاش حاتم طيء فان مات قامت للسقاء ما آتم
وقال رجال أنهمب اليوم ماله فقلت لهم إني بذلك عالم

بذلك أوصاه عدى وحشرج وسعد وعبد الله تلك التهام

فقال حاتم : إن كنت لأحب أن يأتيني منكم من قومك وأجزل له العطية .

والى كان للأمهات الأثر الأكبر في تربية الأبناء وتعويدهم الجليل من العادات ، فإن حاتما نشأ في جو كريم وغذى بلبان صافية طيبة ؛ فقد كانت أمه من سيدات النساء وفضلاهن ولها في السخاء والكرم مكان ليس بالجهول ، ولعل هذه القصة التي نسجها الوضعون تدلنا على مبلغ شهرتها في الجود؛ فقد ذكروا أنها رأت في نومها كأن قاتلا يقسول لها ، وكانت حاملا : أغلام صحيح يقال له حاتم أحب اليك أم غلعة عشرة كالناس ليوث ساعة الباس ليسوا بأوفا ولا أنكاس ؟ وبدهى أن لا وجه للخيار بين هذين الأمرين عند النفس البشرية التي تهتم بالمدد قبل أن تهتم بالمعاني ولا سيما النفس العربية ، وبالتسكاثر نفورها ، وعلى الشجاعة مدار حياتها ، ولكن الواضع يعضى الى فائته من وصفها بالسماحة فيجعلها تختار في رؤياها البازل المعطاء .

روى أبو علي القاسم في أماليه قال : كانت غنية بنت عفيف بن عمرو ، وهي أم حاتم ، من أسخى النساء وأقراهن للضيف ، وكانت لا تليق (١) شيئا تملكه ، فلما رأى إخوتها إتلافها حجروا عليها ومنعوا ما لها فسكت دهرًا لا تصل الى شيء حتى إذا ظنوا أنها قد وجدت ألم ذلك أعطوها صرمة (٢) من إبلها ، فجاءت امرأة من هوازن كانت تأتياها كل سنة تسألها فقالت لها : دونك هذه الصرمة فخذها فقد والله مسني من الجوع ما آليت معه ألا أمنع الدهر سائلا ، ثم قالت :

لمعري لقد ما عضنى الجوع عضه فأليت ألا أمنع الدهر جائعا
فقلولا لهذا اللائمى اليوم أغفى فإن أنت لم تفعل فعض الأصابع
وماذا ترون اليوم إلا طبيعة فكيف بتركي يابن أم الطبايع ؟

تلك هي المنابع الأولى التي استقى منها حاتم حتى روى . أما الاخلاق الكريمة التي تحلى بها فلم تكن من الخفاء بحيث يجهلها معاصروه بل كانوا يعرفونها حق المعرفة ، ويدركون أن بجانب هذا الكرم نفسا طيبة فاضلة ، وأن فيها رافة تحمل صاحبها على أن لا يقتل واحد أمه ، وفي ذلك يقول :

أماوى إني رب واحد أمه أجرت فلا قتل عليه ولا أمر
ويمكن أن نجمل هذه المكارم التي انصف بها في هذين الخبرين : تقدم حاتم وجماعة من الشعراء السادة الى خطبة أميرة من أميرات الحيرة ، وكان قد اشتهر أنها لا تزوج إلا من ترضاه وتعرف شمائله ، وكان فيهم أوس بن حارثة بن لام الطائي الذي يقول فيه حاتم « إنما ذكرت بأوس ، ولبعض ولده خير مني » ، وزيد الخليل النبهاني الذي سماه رسول الله صلى الله

(١) لا تليق . (٢) النطمة من الإبل من العثري الى الثلاثين .

عليه وسلم (زيد الخير) ، وكان فارسا مشهورا ، وكانت طيبي تغير باسمه على القبائل ، ولكن الأميرة اختارت حاتما ، وكانت حجتها أنه يحب مكارم الأخلاق ، فقالت له : وأما أنت يا حاتم فرضى الخلائق ، محمود الشيم ، كريم النفس ، وقد زوجتك نفسى . وفى هذا الخبر إجمال ولكنه على كل حال يدلنا على أن حاتما كانت له أخلاق آخر غير الجود ، محمود متعارفة ، وقد جاءتنا مفصلة فى وصيته لابنه عدى ؛ قال : يا بنى أعهدك من نفسى ثلاثا : ما خالفت الى جارة لسوء قط ، ولا أوثقت على أمانة قط إلا أدبتها ، ولا أتى أحدا من قبلى سوء .

ونحن نجد مصداق ذلك فى شعره وخبره ، وحسبك من رجل فى قوم كانوا يرون الكلام أعظم نفخهم ، ومع ذلك كان طويل الصمت ، وكان يقول : إذا كان يسمعك تركه (يعنى الكلام) فتركه ، وكان معتزا بنفسه كريما على خلائقه يتعالى عن مدح الأشراف والسادة ، ذلك الأمر الذى غض من شأن النابغة وزهير والأعشى . والمدح - فيما أرى - أول الضعف فى نفس الرجل ، ولست أعنى هذا المدح الذى تقول فيه للمحسن أحسنت ، ولكنى أعنى هذا الذى يتقرب به الأصاغر من الأكابر ، ويرجون ما عندهم من خير وجاه ، وكان بعيدا عما كان يشغل ذهن الرجل الجاهل بصفة عامة ، والشعراء بصفة خاصة ، وأعنى به المرأة ، فقد عرفنا أن شعراء الجاهلية جعلوا الحديث عنها أكبر همهم ، حتى كان من رسومهم المعتادة أن يتدثروا به قصائدهم حتى قصائد الرثاء ابتدئ بعضها بالنسيب كما ذكر الرواة فى قصيدة دريد بن الصمة التى رثى بها أخاه ومظلمها : *مرحيتك قاتلهم ردى*

أرث جديدا الحبلى من أم معبد بمأقبة أم أخلفت كل موعد (١)
ولكننا لا نجد لحاتم فى هذا الباب شيئا يذكر ، وكان يرى أن الرجل الذى لا هم له إلا حديث الغواني من سقط المتاع .
وشر الصعاليك الذى هم نفسه حديث الغواني واتباع المنارب
ولكن الرجل الحق فى نظره هو الذى يشغل نفسه بالمجد ، ولا يعتمد على غيره فى نيل العلا .

ولن يكسب الصعلوك حمدا ولا غنى إذا هو لم يركب من الأمر معظما
ولم يشهد الخيل المفيرة فى الضحى يثرب عجائبا بالسنايك أقما

على محمد حسن

(للحديث بقية)

المدرس بمعهد القاهرة

(١) لا يرى رأيهم فهذا البيت عتاب ولوم على ما وجهته إليه من تأنيب لبكائه أخاه ، وليس نسيبا ، وعلى ذلك تسقط دعوى الرواة أن الرثاء ابتدئ بالنسيب .

الدراسة الجامعية والاحاد

كتاب خاص ورد لحضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخ الجامع الازهر
مد الله في عمره وبارك في حياته .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

يا صاحب الفضيلة : ورد على خاطري أن أعرض على مسامعكم التماسا عسى أن تعيروني قبولا
فقد سموا لتنفيذه بحكم مركزكم السامي ، فتحصلوا بذلك على أجزل الثواب من الله سبحانه .

إنني يا صاحب الفضيلة من المسلمين الذين درسوا دينهم درسا دقيقا ، وكان أول درسي إياه
استماعي لما كان يلقيه الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله في الرواق العباسي من تفسير
آيات القرآن الحكيم الكريم منذ سنة ١٩٠٢ الى أن توفاه الله في صيف سنة ١٩٠٥ . وبعد وفاته
سرت قدما على الدرس الى وقتنا هذا والحمد لله . ولقد وجدت من محاسن هذا الدين العظيم
ما بهرني وجعلني أفايس ما بينه وبين الكافرين ممن يدعيه فوجدت المسافة شاسعة جدا ،
فجملت أفكر في أسباب تأخر المسلمين في بلادهم وتقدم غيرهم ما دام الاسلام يحثهم على العمل
حتى تكون لهم العزة في الدنيا والنعم المقيم في الآخرة ؛ فكان من ضمن ما اهتمت اليه من
تلك الأسباب إهمال تعليم الدين في المدارس وخصوصا المدارس العالية التي يكون النش فيها
قد نضج ويمكنه فهم الدين على حقيقته فلا يتأخر عن العمل بمقتضاها حتما لينال السعادت
سعادة الدنيا وسعادة الآخرة . إن هؤلاء الطلبة هم كما تعلمون فضيلتكم رجال المستقبل وحكام
البلاد ، وهم قدوة العوام فيما بعد ، فان صلحوا صلح العوام وإن فسدوا فسد العوام . إن الامر
قد وصل الى درجة يرثي لها من الاحاد والتعطيل ، فهناك كثير من خريجي الجامعة وطلبتها
يفسبون خلق هذا السكون العجيب بما فيه من نظام محكم وصنع متقن الى عمل الطبيعة ، وإذا
سألهم ما هي تلك الطبيعة وهل هي ذات قدرة وإرادة وحكمة و... الخ تعلموا في الجواب
وقالوا هي الطبيعة والسلام هروبا من إلزامهم الدليل على وجود الله جل شأنه . « إنها لا تعنى
الأبصار ولكن تعنى القلوب التي في الصدور » صدق الله العظيم .

منذ عشرين سنة كان لي ولد في إحدى كليات الجامعة ، وكنت حريصا منذ نشأته على تعليمه
الدين بنفسى ، فكنت ألقنه العقائد على حقيقتها وأضطره الى الصلاة في أوقاتها ، ولكنه وهو
في الكلية سمع من بعض الأساتذة ما يخالف تلك العقائد وعلى الاخص عقيدة البعث بعد
الموت ، وقد صار حتى القول بذلك وبأن بعض أساتذته ينكرون صحة الاديان . وأخيرا بعد أن

أتم دراسته دخل في خدمة الحكومة بوظيفة مدرس بمدرسة التجارة المتوسطة ، فزاده الوسط الجديد سوءاً على سوء ، فأهمل الصلاة بالمرة واتبع شهواته مثل زملائه ، وقدمات المسكين منذ سبع سنين على لا شيء ، أو على شك من دينه ، مع الأسف الشديد .

يا صاحب الفضيلة : نحن اليوم مستقلون فما المانع من تعليم الدين في المدارس جميعها ابتدائية وثانوية وطالبة ؟ إن الدين ضروري جداً لرقى الاجتماع وبدونه لا يمكن أن يكون نظام وأمن وضماناً كما هو معلوم لفضيلتكم . وأتم اليوم خير من يسمى لانجاز هذا الغرض السامي . والذي أتمسه من فضيلتكم بعد أن تمهدوا للأمر طريقه لدى رؤساء الحكومة أن تأمروا بتشكيل لجنة من هيئة كبار العلماء لعمل تفسير مختصر للقرآن الكريم ، وتأليف سيرة صحيحة للرسول صلى الله عليه وسلم ، ولتكن تلك السيرة من طراز سيرة « نور اليقين » المرحوم الخضرى بك ، ثم انتقاء طائفة من أحاديث الرسول صلوات الله وسلامه عليه الضرورية لرقى الاجتماع من جميع نواحيه ، لأنه صلى الله عليه وسلم لم يترك شاردة ولا واردة إلا وقد بينها لنا وذلك بأمر الله سبحانه ولا شك ، وهذه المؤلفات بعد إنجازها وطبعها يقرر تدريسها في جميع المدارس وعلى الأخص كليات الجامعة .

وهذه المناسبة أذكر لفضيلتكم فيما يلي قراراً لمجلس النواب الإيطالى صدر منذ خمس عشرة سنة أو أكثر ، وهذا القرار نشر في بعض جرائدنا المصرية ، وعاق عليه وقتئذ حضرة الأستاذ فكرى أباطه ، والنص كالاتى بالحرف الواحد :

« وافق مجلس النواب الإيطالى على مشروع قانون بادخال التعليم الدينى في المدارس العالية وقد بنى موافقته على القاعدة البليغة الآتية : « إن الأمة لا تستطيع أن تبلغ درجة رفيعة من الرقى بغير التربية الدينية » .

وقد قال الأستاذ فكرى في تعليقه ما يأتى :

« هذه إيطاليا يا مصر ! إيطاليا المتعدنة المجددة العصرية . أما أنت يا مصر فحسبك أن تعلمى الأطفال في المدارس الابتدائية كما تتعلم الببغاء ! يحفظون بعض الآيات ولا يفهمونها . مرحى مرحى ويح وبخ بالاسلام والمسلمين ! الدين لا تعرفه وزارة المعارف المصرية المسلمة لا في التجهيزى (الثانوى) ولا فى العالى ، والبركة فى الشارلستون ! » اهـ

وحقا يا فضيلة الأستاذ الأكبر : ياليت وزارة المعارف تهتم بتعليم الدين ربح اهتمامها بتعليم الموسيقى !

ولقد كان مجلس نوابنا أحق باصدار مثل هذا القرار منذ زمان طويل ، ولكن بالأسف أهمل برلماننا كل أمر يتعلق بالدين والأخلاق بالرغم من كونهما هما الأساس لكل خير ولا حول ولا قوة إلا بالله !

وهناك رجاء آخر ، وقد يتم إن شاء الله بنفوذ فضيلتكم أيضا ، وهو إنشاء مسجد كبير على أرض الجامعة يليق باسمها ، ثم تعيين أحد مشاهير علماء الوعظ ليكون إماما وواعظا لهذا المسجد حتى يشب الطلبة على تأدية الصلوات المفروضة في أوقاتها فيشربون عليها . فالصلاة عماد الدين ولا خير في دين لا ركوع فيه ولا سجود . وطبعاً كل ذلك وأضعاف أضعاف معلوم لفضيلتكم . والله سبحانه وتعالى يكمل سعيكم بالنجاح ، ويبارك في حياتكم ، ويجعلكم على الدوام مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كاتبه

في ٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٥هـ

افندي مسلم محب لدينه غيور عليه

٨ مايو سنة ١٩٤٦

(مجلة الأزهر) : ورد هذا الكتاب لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرزاق شيخ الجامع الأزهر ، فرأينا أن نشره لأنه يعبر عن شعور المسلمين في جميع الممالك الإسلامية ، فقد أدركوا حقيقة الخطر على العقائد والآداب الإسلامية من جراء غزو المذهب المادى لها في أمنع مفاصلها ، وقد حصل هذا المذهب منذ اتصالنا بالمدنية الغربية على نجاح عظيم ، وفضيلة الأستاذ الأكبر أشد الناس تألماً من هذه الحالة ، وهو جاد في علاجها ، وإذا قلنا إنه أشد ما يشغل باله لما كنا مباهلين ، ولكن الحماية لسلامة العقائد لا تتم بمجرد تعليم الدين في المدارس ، ولا ببناء مسجد في الجامعة ، ولكنها تستدعى إقامة فلسفة إسلامية مدعمة تدعى علمياً ، وحاصلة على مقررات تحميها أسلحة أقوى من أسلحة الفلسفة اللاحادية ، ومتانة الاسلام جذيرة بذلك ، ولكن هذا عملاً يستدعى تنظيماً ، ووقتاً مناسباً لإقامته ، وفضيلته بسبيل كل ذلك منذ عهد بعيد ، وزجو أن يرى المسلمون بعد ربح من الزمن أن فضيلته قد حمل لذلك عملاً يذكر به على مر الأجيال ، وفقه الله لإتمامه ، ورزقه التوفيق لإحكامه .

ونرى أن أحسن ما نضاه به عقائد الذين يدرسون الدراسات العالية من المسلمين ، وهي موطن الخطر كله عليهم ، أن يؤلف لهم كتاب في الدفاع عن العقائد الإسلامية يكون قائماً على المكتشفات البقينية للعلم الحديث نفسه ، مما ينقض الأصول التي تقوم عليها الفلسفة اللاحادية ، مع التدليل على أن ما تستند اليه هذه الفلسفة قد استنفذ زمنه ، وحل محله نقيضه مما يخول للعقائد أدلة يرتضيها الذوق العلمي . ويجب أن يتقرر على الطلبة تلقى هذا الكتاب من مدرس خبير بما فيه ، وأن يمنحوا فيها كسائر المواد الدراسية ، وأن لا تستثنى كليات الجامعة الأزهرية من تلقى هذه الدراسة التكميلية .

النقد الادبي في القرن الرابع

الجرجاني والصاحب بن عباد

ظهرت الوساطة بعد ظهور رسالة الصاحب « الكشف » وكانت حملة الصاحب وخصوم المتنبي من النقد عليه وعلى شعره هي الباعث للقاضي على تأليف كتابه ، إنصافا للمتنبي من خصومهم ، وقد تحاشى القاضي أن يظهر في كتابه بمظهر الناقد لآراء الصاحب ، ولا شك أن الجرجاني تأثر بالصاحب وآرائه في رسالته .

(١) فالرجلان يتفقان في أن السرقة عيب قديم لا يؤاخذ به الشاعر كل المؤاخذة (١٧٠ وساطة ، ١١ الكشف) .

(٢) وكثير من الأبيات التي عرض الجرجاني آراء من عاب المتنبي عليها قد نقلها عن رسالة الصاحب ؛ ولعله كان حين يقول فيها : قال خصوم المتنبي كذا وكذا ، إنما كان يعني الصاحب . ونقله عن رسالة الصاحب بدون ذكر له كثير كما في ص ٧٧ .

وقد ذكر القاضي الصاحب في وساطته (ص ٤٧ وساطة) ، وذكره باسمه اسماعيل ابن عباد .

ونحن لا نريد من تأثر القاضي بابن عباد ورسالته أنه استمد منها كثيرا من آرائه في النقد ، وإنما نريد هنا أنه رجع إليها حين أراد تعداد المثالب التي ألصقها خصوم المتنبي بشعره للرد عليها ، ومناقشتهم فيها ، وأنه كان يريد في أحيان كثيرة الصاحب من بينهم .

الجرجاني وأبو هلال العسكري :

حاش الرجلان متعاصرين ، وتوفي الأول عام ٣٩٢ ، والثاني عام ٣٩٥ ، واتصلا بالصاحب في حياتهما اتصالا أدبيا وثيقا .

وعامل المنافسة كثيرا ما يثير البغض والحسد في نفس المتنافسين ، وهكذا كان موقف أبي هلال من القاضي .

والصناعتين ألفها أبو هلال وانتهى من تأليفها عام ٣٩٤ (راجع الصناعتين ص ٤٤٥) ، فإذا يكون من المحقق أن أبا هلال قد ألف كتابه بعد ظهور الوساطة بزمن يسمح له بالتأثر بها ، واتخاذها مصدرا من مصادر كتابه ، إن أراد ، ولكن هل فعل ذلك أبو هلال ، وهل اتخذ الوساطة من مراجع كتابه الخافل ؟ والجواب لا ، فقد كان بين الرجلين غوارق كثيرة .

١ — فاتجاههما العقلي والثقافي مختلف ، فالجرجاني أديب يستمد أدبه من ثقافة عربية خالصة ، وأبو هلال أديب يستمد أدبه من ثقافته العربية وثقافته العقلية التي يحدو فيها حذو قدامة وابن العميد والصاحب .

ب — ومشكلات المنافسة بين الرجلين كانت عاملا في عدم انتفاع أبي هلال بوساطة الجرجاني ، بل كانت سببا فيظهار السخرية بها وعقولها ، وإن كان ذلك لم يحف على أحكام ذوقه الأدبي في تقدير ما يستحق التقدير من شعر القاضي ، كما نرى في ديوان المعاني (ص ١٦٨ ج ٢) ، حيث روى أبياتا للجرجاني واستحسنها . ولكنك تجد في الصناعتين (ص ٢٨٥) نصا غريبا يستوقف النظر .

قال أبو هلال وهو يعدد أنواع البديع : « فهذه أنواع البديع التي ادعى من لارواية له ولا دراية عنده أن المحدثين ابتكروها ، وأن القدماء لم يعرفوها ، وذلك لما أراد أن يفخم أمر المحدثين » .

فن هو هذا الرجل الذي يعرض به أبو هلال ؟ هو القاضي الجرجاني أبو الحسن صاحب الوساطة ، وليس في ذلك ريب ، عندي .

١ — فالجرجاني هو الذي نوه في وساطته بالمحدثين ، وهتف باسمهم ، وأشاد بمكانتهم فذهب إلى أن وقوعهم في الخطأ لا يخطئ من منزلتهم ، لأنه قد وقع فيه الجاهليون والاسلاميون ، كما ذهب إلى أن يسيرهم أحق بالاستكثار ، وصغيرهم أولى بالاكثار (راجع ص ٥٢، ٣١ وغيرها من الوساطة) .

ب — والجرجاني هو الذي يرى أن المحدثين فطنوا لجمال ألوان البديع التي ألم بها القدامى لما ما فتسكفوا الاحتذاء عليها (٣٨ وساطة) ، وتكلم على شتى ألوان البديع وذكر أن المحدثين هم الذين سبيلها ، وغيروا اتجاهها الأدبي ، كما تراه مثلا في كلامه على السرقة ودقة المحدثين في إخفاء الأخذ (١٧٠ وساطة) ، وفي كلامه على الإفراط وأنه مذهب عام في المحدثين (٣١٧) وفي الاستعارة وإبعاد مرماها على يد المحدثين (٣٢٤) ، إلى غير ذلك من ألوان الأشدة بالمحدثين في كتابه .

ج — وثقافة القاضي دينية ، وأدبية ، مستمدة من الذوق والطبع أكثر من استمدادها من العقل أو النقل كما يقول أبو هلال .

على أن أبا هلال قد تحامل في كلفه على القاضي ، فأسرف في رميه إياه بأنه لا رواية له ولا دراية عنده ، وفهم من إعجاب الجرجاني بالمحدثين أن ذلك تعصب لهم ، كما فهم من كلام الجرجاني عن أبواب البديع وفضل المحدثين في الفطنة إليها أنه يرى أن القدماء لم يعرفوها بأي شكل

من أشكال المعرفة ، مع أنه رأى أن القدماء عرفوا بعضها معرفة فن وأدب ، والمحدثين قد عرفوها معرفة علم وفن ومذهب ، ولهم الفضل في تطور صورها وألوانها ، ودقة أخذها وروعة سحرها .

فأبو هلال كان يتتبع حياة القاضى وإنتاجه ، وينظر إليها بعين المنافسة ، وقرأ الوساطة ، ولكنه لم يعول عليها ، ولذلك لا نجد ظلًا لتأثر أبى هلال بها في الصناعتين ، مع أنه تأثر بالجاحظ وبيانه ، وقدمه وكتابه « نقد الشعر » وبالأمدى وموازنته ، والبحوث المشتركة في الكتابين نرى في اتجاه الرجلين في بحثها بونا كبيرا ، فبزان النقد عند الجرجاني (٣٧ و ٣٨ من الوساطة) مبين له عند أبى هلال (٥٤ صناعتين) ، وآراء أبى هلال في الاستعارة والتشبيه ليس فيها أى أثر لوساطة القاضى ، وكذلك بحوثه في السرقات الأدبية (١٨٩ - ٢٢٥ صناعتين) ليس فيها أثر خاص لآراء الجرجاني ، وخفاء السرقة عند الجرجاني بالنقل أو القلب أو تغيير النهج والترتيب (١٦١ - ١٦٥ وساطة) ، وهو عند المسكرى يجعل النثر نظما والنظم نثرا وبتغيير الموضوع (١٩١ صناعتين) .

وإذا كان تعليق أبى هلال على البيت :

كنتم كن أدخل في جحر يدا فأخطأ الأفعى ولاقى الأسودا

(١٩ صناعتين) هو تعليق الوساطة في نقده له (ص ٢٠) فليس ذلك مظهرا لتأثر ، أو دليلا على احتذاء .

الجرجاني والتمالي :

وقد أشاد التمثالي (م سنة ٤٢٩) في يتيمة الدهر بالوساطة ونقل عنها كثيرا عند ما عرض للتملي وشعره (راجع ص ٩٧ و ١٣٧ و ١٤٢ و ١٤٦ حلى اليتيمة) .

الجرجاني وابن سنان الخفاجي :

وابن سنان الخفاجي م سنة ٤٦٦ قد اتخذ الوساطة مصدرا من مصادر كتابه (سر الفصاحة) ورجع إليها في مواضع من كتابه ؛ وكلامه في نقد المنعصين للقديم يتجلى فيه روح التأثر بالجرجاني (راجع سر الفصاحة ص ٢٦١ و ٢٧٠) ؛ وكذلك نقل رأى الجرجاني في أبيات أبى الطيب وغيره التي أبعدها فيها الاستعارة ؛ ثم شرحه وبين الوجه الذى يصح حمله عليه (١١٨ - ١٢٧ و سر الفصاحة) ؛ إلى غير ذلك من مظاهر تأثر ابن سنان بالقاضى وكتابه الوساطة . ولترجى تنمة الحديث إلى العدد التالى إن شاء الله .

عبيد الشعر في العصر الجاهلي

وما دمنّا قد عرضنا لحديث الارتجال ، والبديهة والروية ، فلنكف من معانيها بكلمة موجزة ، تميز بينها ، وتحدد نوع تحديد .

لشيوخ الأدب وعلمائهم كلام كثير في الارتجال والبديهة والروية ؛ قال صاحب العمدة (في كتابه ص ١٦٤ - ١) : البديهة عند كثير من الموسمين بعلم هذه الصناعة ، في بلدنا ، أو من أهل عصرنا : هي الارتجال ، وليست به ، لأن البديهة فيها الفكرة والتأني ، والارتجال ما كان انهمارا وتدفقا ، لا يتوقف فيه قائله ، كالذي صنع الفرزدق وقد دفع إليه سليمان بن عبد الملك أسيرا من الروم ليقتله ، فدرس إليه بعض بني عبس سيفا كهاما ، فنبأ حين ضرب به ، فضحك سليمان ، فقال الفرزدق ارتجالا في مقامه ذلك يعتذر لنفسه .

ثم قال بعد ذلك : وأعظم ارتجال وقع قصيدة الحارث بن حنظلة ، بين يدي عمرو بن هند ، فإنه يقال أتى بها كالخطبة . وكذلك قصيدة عبيد بن الأبرص . وقيل أفضل البديهة بديهة أمن وردت في موضع خوف ، فاظنك بالارتجال وهو أسرع من البديهة ؟ ثم قال بعد أن ذكر بعض من اشتهروا بالبديهة ، وبعض من اشتهروا بالارتجال :

فما جرى هذا المجرى فهو ارتجال ، وأما البديهة فبعد أن يفكر الشاعر يسيرا ، ويكتب مريعا إن حضرت آلة ، إلا أنه غير بطيء ولا متراخ ، فإن أطال حتى يفرط ، أو قام من مجلسه ، لم يعد بديها . ثم يقول في ص ١٧٠ :

واشتقاق البديهة من بده بمعنى بدأ ، والارتجال مأخوذ من السهولة والانصباب ، ومنه قيل شعر رجل إذا كان سبطا مسترسلا غير جيد ، وقيل هو من ارتجال البئر وهو أن تزلها برجليك من غير حبل ، فالأقسام عند ابن رشيق ثلاثة : الارتجال وهو التدفق الذي يأتي عفوا وطبيعة ، والبديهة وهي تعتمد التلبث القصير ، والفكر السريع ، وكما قلنا يكنى فيها تقليب العين ، وخطرة الوهم ، فإن أطال الشاعر عن ذلك حتى يفرط ، أو قام من مجلسه ، لم يعد بديها . تلك هي الروية وعماها الأناة والريث والتببب .

أسباب التجويد في الشعر

قدمنا أن الشعر الجاهلي كان يقوم على الارتجال أو البديهة طبيعة أو صنعة خفيفة

لا تكاد تثبتينها ، لأنها لا يعتمد فيها الى التعبير والتحكيم والمعاودة ، ومحادثة الكلمات بالصقال ، حتى ظهرت الاسواق التي كان يتعاطى فيها الخطباء والشعراء ، ويتنافسون في إحراز الفضيلة والسبق ، فكان ذلك داعية من دواعي التجويد في القصيد ، والتروى فيه ، وتقنيشه المرة بعد المرة ، فقد كان العرب يحضرون الاسواق القريبة منهم ، خلا عكاظ فأنهم كانوا جميعا يتوافدون عليها ، لمفاودة أسرارهم ، والتعاطى في خصوماتهم ، والمفاخرة بالأحساب ، والتباهي بصفات الفضائل ، والكرم والشجاعة والفصاحة والجمال ، والأشعار والخطب ، وفيها أنشد عمرو بن كلثوم طويلته ، وكان للنابعة الذبياني قبة تضرب له ، يتعاطى اليه فيها الشعراء ، وقصته مع الأعشى والخنساء وحسان مشهورة . كان هذا الاجتماع العام ، مظهرا جميلا من مظاهر الحضارة ، يقضي طبعها تجويد المنطق ، وإرهاق اللسان ، والمبالغة في إتقان صناعة الكلام ، والاجتهاد في إحراز الغلب والتقدم ، يضاف إلى ذلك أنه لما نشأ الذين تكسبوا بالشعر ، والتمسوا به الصلات والجوائز ، كالنابعة وزهير والأعشى وغيرهم ، لم يجحدوا من السبب ما وجد الذين قبلهم ، لأن الشاعر إذا مدح اليد ، وأشاد بالصنعة ، لم يكن له بد من التكلف والاستكراه ، إذ يعلم أنه لا يتقبل منه غفوة الخاطر ، ولأن ذلك المقام لا تجدى فيه غير المبالغة ، التي تكون من استعراض الصفات ، وتخثير المعاني ، والتغفل والاغراق وغيرها ، فكان من ذلك القيام على الشعر ، ومعاودة النظر فيه ، وتقبيل الشاعر على نفسه ، حتى يخرج شعره مستويا في الجودة ، لأن الطبع في مثل تلك المعاني ، يندفع ويتبدل ، ويضعف ويتجدد ، فإذا لم يجتذب الألفاظ ، ولم يجتلب المعاني ، جاء الشعر جديدا مرقعا ، أو ليسا ممزقا .

وقد يكون من أسباب ذلك أيضا ، أن الشعر لما شاع فيهم بعد امرئ القيس ، ومن في طبقة ، وكان الشعراء يستمعون عليه بالروية ، استعجابا لمحاسنه ، خشى آخرهم أن يقصر عن أولهم ، إذا هو لم يجاز سنة النمو ولارتقاء ، فكان بيت المعاني يلتمس لها وجوه الصنعة . وقد يكون الغناء وصلته بالشعر الجاهلي أثر في تجويد الشعر وتحبيرة ، ومصدق ذلك حادث الجارية مع النابعة في المدينة ؛ يقول الجاحظ في البيان (٢ ص ٧) « ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كريتا (تاما) ، وزمنا طويلا ، يردد فيها نظره ، ويقلب فيها رأيه ، اتهاما لعقله ، وتتبعها على نفسه ، فيجعل عقله زماما على رأيه ، ورأيه عيارا على شعره ، إشتاقا على أدبه ، وإحرازا لما خوله الله من نعمته ، وكانوا يسمون تلك القصائد الحوليات ، والمقلدات والمنقحات ، والمحكمات ، ليصير قائلها خذلا خذليذا وشاعرا مقلقا ، وفي بيوت الشعر الأمثال والأواهد ، ومنها الشواهد ومنها الشوارد .

وقال (في ص ١١ ٢) : وكان الخطيئة يقول : خير الشعر الحولى المحكم . وكان الأصمعي

يقول : زهير بن أبي سلمى والخطيئة وأشباههما من عبيد الشعر ، وكذلك كل من يجود في جميع شعره ، ويقف عند كل بيت قاله ، وأعاد فيه النظر ، حتى يخرج أبيات القصيدة كلها مستوية في الجودة . وكان يقال : لولا أن الشعر قد كان استعبدا ، واستفرغ مجهودهم ، حتى أدخلهم في باب التكلف ، وأصحاب الصنعة ، ومن يلتمس قمر الكلام ، واغصاب اللفاظ ، لذهبوا مذهب المطبوعين ، الذين تأتيهم المعاني سهوا رهوا . وكان أبو عبيدة يقول ، ويحكى عن يونس : ومن تكسب بشعره ، والتبس به صلات الأشراف والقادة ، وجوائز الملوك والسادة ، في قصائد السماطين ، وبالطوال التي تنشد يوم الحفل ، لم يجد بدا من صنيع زهير والخطيئة وأشباههما ، وإذا قالوا في غير ذلك ، أخذوا عفو الكلام وتركوا المجهود .

حينئذ اتخذ المدح في الشعر العربي لونا غير لونه الأول ، فقد كان في الأعم الأغلب يقوم على الفخر قبل ضعف الطبيعة البدوية ولينها ، لأن أساسها فضيلة الاعتماد على النفس ، فلا تكاد تجد في شعر المهلهل أو امرئ القيس مدحا مبنيًا على الملق والمداهنة وتصنع الأخلاق ، وإن وجد شيء من ذلك قبل (١) النابغة وزهير والأعشى ، فهو مصنوع لا شك في توليده وصنعيته ، ولما وهنت أعصاب البداوة في بعض الشعراء ، بما وجدوا من مس الترف والنعيم ، جعلوا يبتغون بالشعر الكسب والمنالة ، فصار مديحهم دهانا ، وغلوا ومصانعة ، غير أن هذا التحول في المديح ، إنما كان يأخذ منه على التدرج في أول أمره ، فبقى مديح زهير طبيعيا ، لم يحاول فيه صبغ الحقيقة بهذا اللون ، الذي يعطيها في الوهم منظر الاستبعاد ، ولذلك فضله صمر بن الخطاب بأنه كان لا يمدح الرجل إلا بما فيه ، لأن زهير كان لا يقول على الرغبة والطمع ، وليسكن الذي سلم من أمر زهير ، لم يسلم من أمر النابغة ، لأن النابغة كان يمدح ملوك المناذرة والفساسنة ، فلا بد أن يكون مديحه من الشعر بمنزلة من الناس . فأما زهير فقد كان يمدح رجلا من الأشراف بصفاته الحقيقية .

رباض هزل

تاريخ دخول الاسلام في افريقية الغربية

المسماة بنيجريا من مستعمرات بريطانيا

دخل الاسلام في نيجريا في القرن السابع من الهجرة حسبما أرخ المؤرخون ، وأخذ يتسع نطاقه وتذيع تعاليمه .

وفي القرن الثاني عشر من الهجرة ازداد اتساعا وانتشارا حتى عم جميع أقطار نيجريا ، وذلك على يد مجددده الولي العارف الرباني « الشيخ عثمان بن فودي الفلاتي » .

وقد كان مسلمو نيجريا من قبل يأخذون علوم دينهم عن علماء المغرب كراكش وشنقيط وغيرها ، فلما جاء ذلك الشيخ رجع الناس اليه في أمور دينهم وقصدوه من كل جهة ، إذ كان من الأقطاب والأوناد الموجودين في ذلك القرن ، وقد اعترف له أولياء زمانه كالقطب الرباني الشيخ أبو العباس أحمد التيجاني ، فانه لما فتح الله له أرسل الى الشيخ عثمان يبشره بذلك ، فسر الشيخ عثمان وأمر تلاميذه بسلوك الطريقة التيجانية ، وبذلك انتشرت الطريقة التيجانية في أقطار نيجريا ، ولكن الشيخ ثبت على الطريقة القادرية ولم يرغب في غيرها .

أما كيفية انتشار الاسلام في تلك الأقطار فقتلخص في أن الشيخ المذكور قد أعطاه الله ملك تلك الأقطار كلها فأخذ يدعو الأحزاب والقبائل وجميع الطوائف الى الاسلام ، ويحارب من يأبى منهم حتى يهزمه ، وكان ينصب لسكل بلد من بلاد تلاميذه إماما يقتدون به ويرجعون اليه في أمور دينهم ، كما يعين القاضي لأقامة الحدود وقهر المتغلبة والمتلصصة وقطاع الطريق وما يتعلق بالرحبة .

وبالجملة عمل على إعلاء شأن الاسلام ونصره وتنبيت قواعده ونشر تعاليمه حتى تمكن في تلك الأقطار أكثر من تمكنه في بعض بلاد الشرق اليوم .

ولم يزل الشيخ يجاهد لدين الله الى أن توفي الى رحمة مولاه سنة ١٢٣٣ هـ وترك وراءه أولادا وأحفادا وتلاميذة وأتباعا يهجون نهجه ويسرون سيرته حتى دخلت بريطانيا تلك الأقطار أوائل القرن الثالث عشر من الهجرة واستولت عليها ، وخرجت الدولة من يد (الفلاتية) أعني أولاد الشيخ وتلاميذه ، ودخلت في يد الانجليز ، إلا أن الدين الاسلامي لم يزل قائما يعمل بأحكامه الى يومنا هذا .

ولكن بريطانيا لم تبدأ من العمل على تأخير الأمور الاسلامية ، وساعدها في ذلك من تنصروا وتهودوا من الوطنيين ، فعملوا جميعا على محو تعاليم الاسلام وإذهاب أثره من

النفوس بالضغط والاعتداء وسائر الوسائل « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .

ولما أراد الله إعلاء كلمته جعل أغلب سلاطين بلاد نيجيريا مؤمنين ، وكبار بلادها تبلغ المائة ، وسكانها ينفون على ٣٧٠٠٠٠٠٠ مليوناً ، ونسبة المسلمين فيهم تبلغ التسعين في المائة بغض النظر عن الفاسقين ، إذ لا نكفر مؤمناً بالوزر .

وأريد أن أنبه هنا الى زعم خاطئ هو عدم وجود العلم والعلماء في تلك الاقطار ، هذا زعم باطل قطعاً ، فقد كان فيها حق العلماء والفقهاء ما لا يدخل تحت حصر كما أشرت آنفاً في سياق حديثي . وكيف لا وفيهم من يؤلف في كل فن كأبناء العرب ، وهناك شعراء يشعرون باللغة العربية على القواعد العروضية حتى لا يكاد أحد يميز بين مؤلفاتهم ومؤلفات أبناء العرب مع أنهم ليسوا من العرب إذ أن لسانهم كان أعجمياً . ولا يخفى أن التأليف الصحيحة والتصانيف السليمة نتيجة من نتائج مراعاة القواعد العربية والتحكن فيها والوقوف على أسرارها وبلوغ الغاية القصوى منها . وقد قيل « خاتمة العلم أس العمل » .

وإليك أسماء بعض أكابر المؤلفين هناك : الشيخ عبد الله بن فودي أخو الشيخ عثمان ، وقد ألف في كل فن وأذعن لفضله الأقران ولم ينازعه في مكانه أحد . ومن مؤلفاته لباب التنزيل وهو تفسير لم يوجد له مثيل في جملة التفاسير مختصرة كانت أو مطولة . ومنها الحصن الرصين وشرحه في الصرف واللغة في ست وستائة بيت . وضوء المصلى وشرحه في الفقه . وكذا أخوه ألف في الحديث والتصوف والفقه والسيرة ، رحمهما الله .

ومنهم الولي تاج الدين الأدبي الالوري رحمه الله ، ومن مؤلفاته درر المرجان في الصرف وإرشاد مرید النحو ، وكتب أخرى . ومنهم الحاج الوزير البرناوى رحمه الله ، ومن مؤلفاته مرشد الطلبة النيجرية الى مقاصد النخفة الوردية ، وإرشاد الحبيب الصادق الى سيرة سيد الخلائق نظم الانوار المحمدية ، وله كتب أخرى .

ومنهم الشيخ آدم نعيم فقيد الأدب والعلم صاحب الطوابع المستقيمة . وقد ألف في كل فن خصوصاً في علم النجوم والجفر . ومنهم الفقير آدم عبد الله الالوري أبقاه الله ، وقد ألف في كل العلوم العربية ، ومنها أقرب المعاني في شرح منظومة البيقوني ، ومرشد الاصحاح الى معاني بهجة الطلاب ، وشرح السودانى المختصر الميدانى في الصرف .

ويوجد اليوم هناك علماء لا ينهض مثل أن يكون تلميذاً لتلاميذهم مع أنى حظيت بشيء من العلوم أشكر الله عليه ، وكذا يوجد هنا منتصبون للافناء في الدين ، ومدرسون للعلوم العربية والشرعية بكليتها ، يوجد منهم في كل بلد نحو الأربعين مدرساً في منازلهم .

غير أنهم لم ينالوا حظاً من التهذيب والثقافة التي نهجها الأزهر سوى علامة زمانه وأعجوبة أوانه الحاج كمال الدين الأدبي رئيس الجمعية الأدبية ، فقد أسس في أكثر البلاد هناك مدارس تنمى على هذا المنهج المنشود والأسلوب الجديد ، أطال الله بقاءه .

وهكذا مدارس جمعية أنصار الدين ، إلا أن نصيب الإنكليزية فيها أكثر من العربية ، ولهم في ذلك عذر .

ووجد هناك مطبعة لطبع الكتب العربية تأسست منذ خمس عشرة سنة وأخذت تنمو بجودة الطبع وحسن الانتقان إلى أن ضاهت المطابع الشرقية . وصاحبها هو الشيخ محمد جمعة ابن ببولاً بآبيكتا .

وأنا أتيت لزيارة الأزهر والافتباس من نوره لأنسج على منواله إذا عدت إلى الوطن في تربية الفناء وتثقيفهم بثقافته لتغرس في نفوسهم قبل بلوغهم فيشبوا متمكنين منها أي تمكن .

أما السكبار والشيخوخ فمن العسير طبعهم عليها ، كما قال ابن دريد :

يقوم الشارخ من زيفاه فبستوى ما انماج منه وانحنى
والشيخ إن قومته من زيفه لم يقم الشقيف منه ما التوى
كذلك الفصن يسير عطفه لدناً شديداً غمزه إذا عسا

هذا وكان لسان حال يقول : إن الأزهر لو وجد طريقاً إلينا وأرشدنا إلى مطلوبنا هذا لسكان قد أدى واجبه الذي أوجده الله لأجله وقام على تأديته منذ ألف سنة أو أزيد .

* * *

تنبيه : إننا قصصنا على مشيخة الأزهر الجليلة تاريخ دخول الإسلام في نيجيريا مقتصرين على ما لا بد من ذكره مما يتعلق بذلك فقط ، فأما تفصيل هذا التاريخ فليس هذا مجال استيفائه واستيعابه ، وعسى أن تتاح لنا فرصة أخرى نأتي فيها بكتاب مستقل مستوفى في ذلك .

وأرجو أن تكون كتابتي هذه دلالة عقلية تضمنية لمطلبي من مشيخة الأزهر الأفاضل أبقاهم الله ، ومن قدوتنا وإمامنا شيخ الإسلام أطال الله بقاءه وأثاله مقصوده ، آمين ما

أوسم عبر الله اللورى

الرياض الغناء في تفسير آيات النداء

هذا ضرب طريف من التأليف لم يسبق إليه ، هدى اليه فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ على عبد الفناح مدرس الخطابة والوعظ بكلية أصول الدين ، قال في مقدمته :

« القرآن كله شفاء وموعظة وهدى ورحمة ، وأنى تغلب المؤمن في روضاته ، وتنقل في آياته ، وجد كثيرا . ولما كان النداء الإلهي في القرآن من ينبوع الفيضة بالهدى ، حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه : إذا سمعت الله يقول : « يا أيها الذين آمنوا » فارعها بمحمد فأنما هو خير يأمر به ، أو شر ينهى عنه ؛ فقد رغبت في تتبع هذا النداء وغيره من أنواع الخطاب الإلهي الوارد في القرآن ، سواء العام منه مثل قوله تعالى : « يا أيها الناس » و « يا أيها الإنسان » و « يا بني آدم » ؛ والخاص بطائفة مثل : « يا بني إسرائيل » و « يا أهل الكتاب » ؛ أو الخاص بالرسول صلى الله عليه وسلم مثل : « يا أيها الرسول » و « يا أيها النبي » و « يا أيها المزمل » و « يا أيها المدثر » ، أو الخاص بزوجات الرسول كقوله : « يا نساء النبي » فالفئة مستوفيا جميع أبواب الدين من الإلهيات والنبوات والعبادات والمعاملات والحدود والجنايات والأفضية والشهادات والفضائل والكمالات وقواعد التشريع السياسي والمدني والاجتماعي ، فرأيت أن أجمعه في مصنف واحد مع التعليق على كل نداء بما يفتح الله . »

وقد وفي فضيلة الأستاذ بما وعد ، فجاء ما كتبه سفرا قيا يقع في أربعمائة صفحة . واقد قام في كل مقام مما أشار اليه بما هو جدير بأستاذ الوعظ أن يقوم به من البيان الرائع ، والاستيعاب الجامع ، والافاضة حيث يجب الاشباع ، والابحاز حيث يحسن الاقلال . ومما امتاز به هذا المؤلف أن موضوعه يدعو الى مطالسته لما فيه من التنقل في الأغراض ، ولما فيه من بيان حكمة الأوامر والنواهي الإلهية ، وقد عززه المؤلف الفاضل بكثير من الأحاديث المناسبة لكل مقام ، فجاء كتابا حافلا بالبيّنات وبحجج الكمال مما يجب أن يذاع على الناس كافة . فأهنيء فضيلة الأستاذ بالنوفيق الذي أصابه ، وأرجو أن يكثر الله من أمثاله الذين ينحون بحكم الدين وآياته هذا النحو .

الازهر بين الماضي والحاضر

هذه رسالة تقع في ثمان وثلاثين صفحة ألفها فضيلة الأستاذ المفضل الشيخ منصور على رجب مدرس علم الأخلاق بكلية أصول الدين ، قال فضيلته في مقدمتها :

« لفت نظري أن كثيرا من الناس لا يعلمون شيئا عن الأزهر لدرجة أني سئلت عنه غير

مرة أسئلة من رجال أعتقد أنه لا يصح الجهل بها منهم ، ففكرت في أن أنشر صورة عن الأزهر تعطى القارئ صورة عنه ، وفي الوقت نفسه أرجو أن تكون باعثا على العناية بأمر الأزهر أقدم جامعة على ظهر الأرض ومن أعظم مفاخر مصر في تاريخها الاسلامي .

« ومن حسن الحظ أن أعطيت دفعة سفينة الأزهر إلى رجل مصلح بطبعه جامعي بفطرته خبر النظام الجامعي في أوروبا وفي غيرها ، وتثقف في الناحيتين : الشرقية والغربية ، فهو قدبر على السير به مع قافلة الزمن بما يناسب روح العصر ، ويتمشى مع ماورثنا من عرف صحيح ، ذلك هو فضيلة الأستاذ الأكبر « الشيخ مصطفى عبد الرازق » وفضيلته علم من أعلام الفكر ، ومؤمن من كبار المؤمنين ، المخلصين للأزهر ، الغيورين عليه ، المهتمين بشئونه ، فأملنا كبير فيه . »

ثم جاء الأستاذ بعد ذلك بكلمة عن تاريخه المادى ، ذكر فيها تاريخ إنشاء الأزهر من عهد الفاطميين سنة (٣٥٩ هـ) وكل في رمضان سنة (٣٦١ هـ) ، وفتح للصلاة في هذا الشهر الذى كل فيه البناء .

ثم أتى بعد ذلك بتاريخ الأزهر على توالى السنين ، ونوه بمن تولوا عمارته من القادة والسلاطين حتى عهد الأسرة العلوية ، ذات المآثر الجلى على الأزهر والأزهريين .

ثم فقد فصلا ممتعا تحت عنوان : كلمة عن الحركة العلمية الاسلامية ، فذكر أن هذه الحركة بدأت بتحفيظ القرآن الكريم ، وأول من أقرأه رجل من الصحابة شهد فتح مصر هو عبيد ابن نحر المغافرى ويكنى أبأمية . وكان يفتى المسلمين في دينهم عبد الله بن عمرو بن العاص . قال الأستاذ : وفي سنة ٣٦٩ عرف المصريون نوما من الدرس لم يكن من قبل ، ذلك هو التحدث في الترفيب والترهيب والفتن . وأول من أوجد بمصر هذا الدرس هو سليم بن عزز التجيبى .

ثم أخذ الأستاذ يتدرج في تاريخ دخول العلم إلى مصر حتى وصل إلى عهد المذاهب الفقهية . وهو بحث طريف لا بد منه لمن يريد التعمق في تاريخ دخول الاسلام وعلومه إلى مصر .

ثم جاء فصل تاريخ الأزهر العلمى فأتى فيه بكل طريف من أنبائه ، ثم تدرج الى ذكر كل ما يختص بالأزهر حتى لم يدع الالمام بعهد تحریم بعض شيوخه لتدريس المنطق ، ثم ألم بما يجده الأزهر الآن من عناية ملسكية بإعادة مجد الأزهر ، وعلى عهد رجل من أنجب رجاله ، جاء كتابه طريفا من كل وجه .